جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

العدد (١٤٢)

النبى الخاتم ﷺ

أ.د/عبد الغفار حامد هلال

الجزء الثانى

القاهرة

ربيع الآخر ١٤٢٨هـ - مايو ٢٠٠٧م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

دراسات إسلامية
سلسلة تصدر
فى منتصف كل شهر عربى

النبى الخاتم ﷺ

أ . د . عبد الغفار حامد هلال

الجـزء الثانى

العدد [١٤٢]

القاهـرة

ربيع الآخر ١٤٢٨هـ ـ مايـو ٢٠٠٧م

يشرف على إصدارها

الدكتور/ محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور/ عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد ..

فهذا هو الجزء الثانى من كتابنا (النبى الخاتم) ، وقد قرأت الجزء الأول منه واشتمل على بابين ، الباب الأول (نشأته ﷺ وصفاته وأخلاقه)، والباب الثانى (منهجه ﷺ فى الدعوة إلى الله) وعرفت من هذين البابين بعض سيرة رسول الله ﷺ التى تقوم على أساس السماحة والرفق ومنهج الدعوة وخطتها .

وفى هذا الجزء نذكر لك أيها القارئ الكريم بقية أبواب الكتاب وتشمل : الباب الثالث والباب الرابع

وفى الباب الثالث (خصائصه ﷺ) تجد الحديث وافيا عن معجزات خاتم الأنبياء ﷺ عن عصمته وعن شفاعته الثابتة ، وعن سلوكه ﷺ مع زوجاته .

والباب الرابع فيه حديثنا عن سنته ﷺ ، ويتناول مكانة السنة والعناية بها وحجيتها والرد على منكريها ، ومنزلة السنة من القرآن والتشريع ، وما يتعلق ببعض مصطلحات الحديث النبوى التى تؤكد عناية الأمة بحديث سيد المرسلين ﷺ وأنها جديرة بالقبول والاهتمام .

ولعل قارئ هذا الكتاب يعرف كثـــيرا مـــن ســـيرة رســـول الله ﷺ وينشرها فى الناس شرقا وغربا لتوضح لهم الحقائق عن رسول الإنســـانية محمد ﷺ ، وأنه جاء بالحق عن ربه لينشره بـــالدعوة الحســـنة والرفـــق والسماحة لا بالعنف ، ولا بغيره مما يهدد الناس ، لعل هذا الكتاب يصـــل إلى أيدى الناس فى كل أقطار العالم ليعرفوا السيرة العطرة لخاتم النبييـــن والمرسلين ، وليؤمنوا به وبأنه المكمل لجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلـــى العالم .

والله الهادى إلى سواء السبيل ،

المؤلف

الباب الثالث

خصائصه ﷺ

معجزات خاتم الأنبياء

يقتضى الحديث عن معجزات النبى ﷺ أن نعود إلى بـــدء الدعـــوة الإسلامية وكيف واجهها كفار مكة وحملوا راية الإنكـــار لمـــا أجـــراه الله تعالى على يد نبيه محمد ﷺ من خوارق العادات وكان إنكـــارهم عنـــادا واستكبارا فى الأرض بغير الحق .

لقد أفاء الله تعالى على أهل مكة من الرزق الوفير ما جعل حياتـــهم تقوم على العيش الـــرغد فالمال فى أيديهم والتجـــارة والاســـتثمار يمـــلأ خزائنهم بالخير ، يتمتعون بمنزلة مرموقة بين العرب والشعوب المجـــاورة تكسبهم مكانة سياسية ورئاسية . وكانت هذه النعم المتوالية عليهم تقتضـــى منهم شكر الله تعالى عليها بتصحيح عقيدتهم بالإقرار بوحدانية الله تعـــالى واختصاصه بالعبادة وترك الإشراك به بعبادة الأصنام والأوثان . لكنـــهم ــ على خلاف ما يقتضى الاعتراف بالفضل للخالق الرازق ــ ظنوا أنـــهم إنما اكتسبوا المال والشهرة والرزق الواسع بجهدهم وفكرهم وتعالوا علـــى الناس بالفخر الكاذب والتكبر والاختيال .. ولم يدركوا أن ذلك خطل الرأس والفكر والاتجاه : « **لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشـــتاء والصيـــف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » [١].

---

(١) قريش : ١ ــ ٤ .

ظن كفار مكة أن الحياة دائمة وأن نهايتها ليست قريبة منهم يتقلبون فى نعيمها وأنساهم الشيطان ذكر الله وعواقب البطر والأشر وقرب النهاية لكل ما فى الحياة الدنيا ، لأن العمر مهما طال فهو قصير والموت قادم لا محالة والقيامة حق لا ريب فيها ونعيم الدنيا بالنسبة لما يجرى فى الآخرة قليل : **﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ﴾** (١) .

أجرى الله تعالى على يد رسوله محمد ﷺ كثيرا من المعجزات ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ، قال الأعمش وغيره عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذ حضوت الصلاة وليس معنا ماء إلا يسير فدعا النبى بماء فصبه فى صحفة ووضع كفه فيه فجعل الماء يتفجر من أصابعه فأقبل الناس فتوضأوا وشربوا ، قال الأعمش : فحدثت به سالم بن أبى الجعد فقال : حدثنيه جابر ، فقلت لجابر : [**كم كنتم يومئذ ؟ قال : خمس عشرة مائة**] أخرجه البخارى .

ومنها حنين الجذع ، فعن نافع ، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فلما وضع له المنبر حن إليه ــ أى كان يئن أنين الصبى الذى يبكى ــ حتى أتاه فمسحه بيده فسكن ثم رجع إلى المنبر (٢).

---

(١) الرعد ٢٦ .

(٢) أخرجه البخارى .

ومنها تسبيح الحصى ، فعن أبى ذر قال : لا أذكر عثمان إلا بخـــير بعد شيء رأيته : كنت رجلاً أتتبع صلوات النبى ﷺ فرأيته وحده فجلسـت فجاء أبو بكر فسلم وجلس ، ثم جاء عمر ثم عثمان ، وبين يدى النبـــى ﷺ سبع حصيات ، فأخذهن فوضعهن فى كفه فسبَّحن حتى سمعت لهن طنينـــاً كطنين النحل، ثم وضعهن فخرسْنَ ، ثم أخذهن فوضعهن فى يد أبى بكـــر فسبَّحن، ثم وضعهن فخرسْنَ ، ثم وضعهن فى يـــد عمـــر فســبَّحن ، ثـــم وضعهن فى يد عثمان فسبَّحن ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال رسـول الله ﷺ **[هذه خلافة النبوة].**

ومنها تسليم الحجر والشجر عليه ﷺ . فعن عبد الله بن أبى ســـفيان ابن العلاء بن جارية الثقفى عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حيـــن أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليـــه وسمع منه ، وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ **[إنى لأعـرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث]** أخرجه مسلم .

وعن أنس بن مالك قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ وهو خارج مـــن مكة قد خضبه أهل مكة بالدماء ، قال مالك ؟ قـــال :**[خضبنـــى هـــؤلاء بالدماء وفعلوا وفعلوا]**، قال: تريد أن أريك آية ؟ قال: **[نعم]** ، قال : ادع تلك الشجرة ، فدعاها رســـــول الله ﷺ فجاءت تخطو الأرض حتى قامت بين يديه ، قال : مرها فلترجع إلى مكانها ، قال : **[ارجعى إلى مكانك]** ، فرجعت ، فقال رسول الله ﷺ : **حسبى** . وهذا حديث صحيح .

ومنها انشقاق القمر ، فعن أنس : إن أهل مكة سألوا نبى الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر، وفي رواية (فانشق فرقتين مرتين) وعن ابن مسعود قال : رأيت القمر منشقًا شقتين بمكة قبل أن يخرج النبي ﷺ شقة على أبي قبيس ، وشقة على السويداء : فقالوا سُحر القمر، وعن أبي معمر عن عبد الله قال : انفلق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ فصارت فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله ﷺ ، اشهدوا ، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن الأعمش. وعند عبد الله قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة – وكان المشركون ينسبون النبي إلى أبي كبشة وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان – وقال تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم** ﴾ (١).

ومع هذه المعجزات – وغيرها – أنكر كفار مكة رسالته ﷺ وطلبوا منه أن يأتيهم بمعجزة وكأنهم لم يروا تلك المعجزات الكثيرة الواقعة تحت بصرهم وحسهم ، لعنادهم واستكبارهم فطمس الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم عن الانقياد للحق ، وكل من على شاكلتهم ممن أضلهم الله وأعماهم لا يهتدون ، فكيف يطلبون الإتيان بآية وبين أيديهم هذه الآيات الناصعات ؟ إنهم يطلبون مطالب الضلال كما قالوا له – كما حكى القرآن الكريم :﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا* أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرًا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا* أو يكون لك بيت من**

---

(١) القمر : ١– ٣ .

زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرًا رسولا ﴾ (١) .

وأكبر معجزة وأخلدها ــ على مر العصور ــ القرآن الكريم هذا الذى : **﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾** (٢) . وهو معجزة من نواح كثيرة ، كالإخبار بالغيب والفصاحة والبلاغة والأحكام الشرعية الصالحة لكل زمان ومكان ، والإعجاز العلمى الذى يكشف عنه العلم الحديث مما ذكره القرآن من قضاياه التى نزلت منذ عصر لم يكن علميًا بالمعنى المعروف الآن ، وقد غفلت عنه عقول كفار مكة وأضرابهم ورموه بأنه سحر : ﴿ **إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾** (٣) .

عن على كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :[**ستكون فتن**]، قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : [كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحُكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجنّ إذ سمعته

---

(١) الإسراء : ٩٠ـ ٩٣ .
(٢) فصلت : ٤٢ .
(٣) المدثر : ٢٤ .

أن قالوا : ﴿إنا سمعنا قرءانا عجبا ﴾ [1]، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم] [2].

وقال ابن الجزرى : إن " أولى العلوم ذكراً وفكراً وأشرفها منزلـــة وقدراً وأعظمها ذخراً وفخراً كلام من خلق من الماء بشراً فجعلـــه نسـباً وصهراً ، فهو العلم الذى لا يخشى معه جهالة ولا يغشى به ضلالة " [3] .

وقال ﷺ [إن لله أهلين من الناس ، قيل : يا رسول الله من هـــم ؟ قال : هم أهل القرآن أهل الله وخاصته] [4] .

والإسراء والمعراج كان حدثا استوقف فكر كفار مكة فوقفوا مذهولين ينكرون حدوثه دون مناقشة أو تعقل ، ولو كانت الهداية قد طرقت أبـــواب قلوبهم لفتحها على التأمل والقبول بقدرة الخالق القادر على دعوة نبيه إلـــى الملأ الأعلى ، ولكن الذى يقبل الحق وينصاع إليه هم الذين رجعوا إلى الله وأنابوا وأدركوا بهداية الله لهم صدق رسالة محمد ﷺ واعتقـــدوا اعتقـــادا صحيحا بنزول القرآن من عند الله وأنه المعجزة الربانية التى عجز عــــن الإتيان بجزء منها أحد منهم وتتحدى غيرهم إلى قيام الساعة .

ومن يؤمن بالقرآن وما جاء به من عند الله ويقرؤه ويتدبر مـــا فيـــه ويعمل به يجد الأمن والأمان والطمأنينة وراحة البال والاســـتقرار ويحيـــا حياة السعادة ، فهؤلاء المؤمنون لا يقلقهم ولا يزعجهم شىء ولا يعانون من

---

(1) الجن : ١ .

(2) جامع الترمذى : ٨ / ٢١٨ .

(3) التمهيد فى علم التجويد ٤٠ .

(4) سنن الدارمى ٢/٤٤٤ .

التبرم أو السخط أو الشقاء فى حياتهم ، أما المعرضون عن القرآن غـــير الملتزمين به فهم فى همٍّ وغم شامل يجعلهم ينكرون الواضح مـــن الأدلـــة والبراهين ولو رأوها رأى العين .

والمؤمنون يسلمون بأن الرسول ﷺ رأى ربه عياناً ليلـــة الإســـراء والمعراج وقد أخبر ﷺ حين سئل : كيف رأيت ربك ؟ فقال : [**نور أنـــى أراه . ليس كمثله شئ**] ولكن أهل الدّخل والجهل ممن طمست قلوبـــهم ، وعميت أبصارهم يشككون فى ذلك دون ما اطمئنان ، على حين يجزم أهل الإيمان بصدقه فيما أخبر به ، فأبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ حين قيل له : إن صاحبك يدعى أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات العلا ورأى ربه ، فماذا تقول ؟ : قال لـــهم : إن كان قال ذلك فأنا أصدقه كما أصدقه فى خبر السماء، ولذلك سمى الصديق.

وسيرى المؤمنون ربهم يوم القيامة كما قال ﷺ : [**إنكم لترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**] وفسر بعض العلماء : الزيادة فى قوله تعـــالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ (١) ، برؤية الله ، وأن وجوههم تشـــرق بالأنوار الإلهية كما قال تعالى : ﴿ **ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة** ﴾ (٢) ، والقتر هو الغبار والظلام فلا يعلو وجوههم منه شيء برؤية ربـــهم علـــى حين أن الكفار محجوبون عن رؤية ربهم ، ولذلك تكون وجوههم مســـودة كأن عليها قطعاً من الظلام الذى يكسوها كالليل: ﴿ **والذين كسبوا السـيئات**

---

(١) يونس : ٢٦ .

(٢) يونس : ٢٦ .

جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا ﴾ (1) . والمصدقون من أهل الإيمان جزاؤهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم : **﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾** (2) .

---

(1) يونس : ٢٧ .

(2) الرعد : ٢٩ .

الإسراء والمعراج

دعوة من المولى الجليل لرسول الإنسانية

إن الإسراء والمعراج خصِّيصة للمصطفى ﷺ إذ لم يدع إلى الرحاب الإلهى العظيم غير محمد ﷺ لما له من منزلة لم يصل إليها أى نبى آخـــر على الإطلاق .

يقول الله عز وجل : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المســـجد الحرام إلى المســـجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هـــو السميع البصير** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **علمه شديد القوى * ذو مـــرة فاســـتوى * وهـــو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى *فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلـــى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ (٢) .

وقد كانت تلك الرحلة رحلة عمل وإعداد وتوجيه لما يصلح البشـــرية وينفعها .

لقد كان النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج يبيت فى شعب عمه أبـــى طالب فجاءه جبريل ــ عليه السلام ــ واصطحبه إلى المسجد الحـــرام ــ

---

(١) الإسراء : ١ .

(٢) النجم : ٥ ــ ١١ .

بمكة ـ وقال ﷺ ـ فيما رواه البخارى ـ [**شُقَّ صدرى وأُتـى بطست مملوء حكمة وإيمانًا فغسل ثم حُشى**] .

ثم ركب البراق ووصل إلى بيت المقدس ـ بفلسطين ـ وصلى فيه بالأنبياء إمامًا ، ثم صعد إلى السماوات العلا فى رحلة معرفة حقيقية بالخالق جل وعلا ، وفى هذا اللقاء العظيم فرضت الصلوات الخمس فى اليوم والليلة وهى كخمسين صلاة فى الثواب .

ورأى الرسول ﷺ الجنة ودخلها وتأمل فيها ووصف بعض أشجارها وأوراقها وثمارها (رأى سدرة المنتهى أوراقها كآذان الفيلة وثمارها كقلال هجر) وهى مثل الجرة التى نعرفها .

ولقد رأى الرسول ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج قومًا يزرعون ويحصدون وكلما حصدوا عاد الزرع كما كان ، فسأل جبريل عنهم فقال له : **هؤلاء المجاهدون ، والجهاد كما يكون فى الحرب يكون فى العمل** والكسب ورأى **قومًا يضربون رؤوسهم بحجارة من الصخور كلما ضربت** عادت فسأل عنهم فقيل له : **هؤلاء هم المتثاقلون عن الصلاة وما أكثر المتثاقلين عن أداء الصلاة .**

ورأى كذلك أقوامًا على عوراتهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام تبدو أجسامهم عارية إلا من قليل يستر العورة ، وهم كالأنعام التى ترعى ، **وهم مانعو الزكاة والصدقة .**

ولما رجع ﷺ إلى مكة أخبر القوم برحلته الأرضية السماوية وعودته فصدقه أهل الإيمان والتقوى وطلبت منه قريش أدلة على دخوله بيت

المقدس وصلاته فيه فأحضر الله تعالى البيت أمامه فأخذ يصفه لهم وصفًا دقيقًا وقد ورد فى البخارى الحديث الدال على ذلك .

وهذه الرحلة تدل على اصطفاه الله تعالى لرسوله الكريم وإيثاره برؤية مولاه دون غيره من سائر الأنبياء وقد طلب موسى ـ عليه السلام ـ أن يرى الله سبحانه فلم تتحقق له كما قال تعالى : ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقًا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾ (١) .

وفى هذه الرحلة المباركة ـ إلى السماوات العلا ـ يقول الحق سبحانه : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على ما يرى*ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ (٢) .

وقلت فى ذلك :

قد ركبت البراق تخترق الحجب

وتطوى به هناك الفضاء

---

(١) الأعراف : ١٤٣ .

(٢) النجم : ٩ــ١٨ .

وترى ناسًا يحصدون نعيمًا

وترى ناسًا قد بـدو أسواء

وأناسًا تسيل منهم فروج

حاملات جريمة نـــــكراء

يأكلون الطعام نيئًا خبيثًا

ويعافون ما يطيب غــذاء

ولقوم حجارة من سعير

جعلت من رؤوسهم أشلاء

وأناس تبيض منهم وجوه

ووجوه أخرى غدت سوداء

* * *

وعلى الرسل كنت فيهم إماماً

بصلاة ــ فى النفس ــ فاحت زكاءً

باركوا رحلة وولوا قياداً

لرسول ــ يذكرهم ــ قد جاء

ومضى يسبق الزمان إلى السبع

الطباق المستحكـــمات بناء

والدرارى مرقاته لعروج

تتهاداه رفعة وارتـــــــقاء

وتراءى بين الملائك صوت

باعث فى أهل السمـــا سراء

يفتح الباب إثر باب ويلقى
سالف الرسل خلفه سعداء
رددوا مرحباً بأحمد فينا
وأذاعوا الحديث والأنباء
ثم نادى جبريل هذا مقامى
لو تجاوزت أحترقت فناء
* * *
فدنا نحو عبده وتدلى
فرأى نوراً يستفيض ضياء
إنه ربه الجليل عياناً
ليس شئ كمثله لا مــراء
ورأى ما رأى تجلى بديعاً
سدرة المنتهى بدت حسناء
ورأى أعجب العجائب آياً
شاهد الخلد يكتــسى آلاء
ما طغى طرفه وما زاغ عنها
غض طرفاً وغض قلباً حياء
صلوات خمس فرضن علينا
وهى خمسون فى الثواب جزاء
رحلة فى الغيوب قلد فيها
تاج وحى رسالة عصماء

حقيقة الإسراء والمعراج والتصديق بهما

س : لماذا قال الله تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليــلاً** ﴾ [1] . ولم يقل بنبيه أو برسوله مثلاً ؟ وهل كان الإسراء بـــالروح أو بالجســد، أو بهما معاً ؟ .

ج : المراد بالعبد هو النبى ﷺ وإنما لم يقل بنبيه أو برسوله إشـــارة إلى أنه مع هذا الإكرام الذى أكرمه الله تعالى به ، وهذا التعظيــــم الــذى عظمه به فى رحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إنمـــا هو عبده ، مجرد عبد يعبد مولاه مع إقراره بالعبادة لله وحده سبحانه وهــو مخلوق لله سبحانه فالأنبياء هم من عباد الله وهم قـــد خلقــهم الله وليســوا منسوبين إلى الله فى شئ آخر من النبوة أو غيرها كما ادعـــى أصحـــاب الديانات الأخرى ، ومن تأمل أدنى تأمل ما بين قوله تعـــالى : ﴿ **ســبحان الذى أسرى بعبده** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمـــه ربه** ﴾ [2]. ظهر له الفرق التام بين مقام الحبيب ومقام الكليم ، ولم يعبر الله تعالى عن أحد بالعبد مضافا إلى ضمير الغيبة (عبده) المشار بــــه إلـــى الهوية إلا النبى ﷺ .

وقد وقع الإسراء قبل الهجرة بسنة أو أكثر قليلا .

والإسراء سيره ﷺ ليلا على وجه خارق للعادة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس بالشام .

---

(١) الإسراء : ١ .

(٢) الأعراف : ١٤٣ .

والمعراج : هو صعوده ﷺ من بيت المقدس إلى السماوات العلا .

ومن العلماء من كان يقول إن الإسراء والمعراج وقعا له ﷺ وهو نائم أو بين النائم واليقظان كما ورد فى بعض روايات الحديث : بينما أنا عند البيت (أى فى المسجد الحرام) بين النائم واليقظان إذ أتانى آت ، .. إلخ ، الحديث ، ولكن الاحتجاج بالحديث على أنه ﷺ كان نائماً غير صحيح إذ ليس فى الحديث ما يدل على أنه كان نائماً فى أثناء الرحلة .

وقيل كان الإسراء بجسده ﷺ فى اليقظة إلى بيت المقدس فكانت رؤية عين ثم عرج بروحه الشريفة عليه الصلاة والسلام إلى السماوات العلا فكانت رؤيا قلب لأن الكفار استبعدوا الرحلة إلى بيت المقدس ولم يستبعدوا المعراج إلى السماء فدل على أنه كان بالروح لا بالجسد .

ورأى جمهور علماء السلف من الفقهاء والمحدثين وعلماء التوحيد أن الإسراء والمعراج كانا بالجسم والروح معاً فى اليقظة .

وقال جمهور العلماء : إنهما لو كانا مناماً أو بالروح ما تعجبت قريش ولا اعتبروا أمرهما مستحيلاً . لأن النائم قد يرى نفسه فى السماء ويذهب من المشرق إلى المغرب ولا يستبعد ذلك أحد .

وأيضاً قوله تعالى : **﴿ بعبده ﴾** يدل على أن العبد معناه الروح والجسد معاً .

ومما دل على استبعادهم طلبهم أن يصف لهم بيت المقدس وأن يحدثهم عير كانت لهم فى الطريق من الشام إلى مكة .

وقد طويت للرسول ﷺ المسافات هندسياً وفلكياً وقال بعض العلماء كانت المسافات باقية على امتدادها ولكن القدرة الإلهية نقلته بالطريق المعتاد بركوب البراق فى الإسراء والعروج على المعراج إلى السماء وتتبين القدرة الإلهية الخارقة للمستحيل .

وقد أخبرهم ﷺ تفصيلاً عن بيت المقدس وقال جابر بن عبد الله سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**] وكان فى القوم من يعرف بيت المقدس ، وأخبرهم ﷺ عن عير لهم فذكر لهم أنه مر بعير فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم فى طلبه ، ومر بعير بنى فلان وقد سألوه عن العدة والأحمال فمثلت له العير فأخبرهم عن كل ذلك وقال لهم : تقدم إلى مكة يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق (١) . عليه غرارتان مخيطتان ، وقد جاءت العير على ما وصف ﷺ وفى الوقت الذى أشار إليه ، وصدق منهم من صدق وكذب من كذب . أما أبو بكر فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : تصدقه

---

(١) أسود يخالط سواده بياض،فإن اشتدت ورقته حتى يذهب البياض الذى فيه فهو أدهم .

على ذلك ؟ قال إنى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غــدوة أو روحة ، فسمى الصدّيق .

ولم يكن لهم من أسئلة حول المعراج إذ لا يعرفون شيئًا عــن خــبر السماء مما جعلهم يقتصرون على ما يعرفونه فـــى الأرض مــن العــير والمسجد الأقصى .

ومنكر الإسراء كافر لأنه ثابت بالكتاب والسنة وإجمـــاع المســلمين والمعراج ثابت بالأحاديث المشهورة ومن ينكره فهو فاسق .

وقال سبحانه : ﴿ ليلاً ﴾ بعد قوله ﴿ أسرى ﴾ الذى يفيد الســير ليــلاً دلالة على أن الرحلة تمت فى جزء من الليل وجاء لفظ : ﴿ سبحان ﴾ دليلاً على كمال قدرة الله وبالغ حكمته وغاية تنزهه تعالى عن صفات النقـــص بهذه المعجزة الدالة على ذلك .

وحاول بعضهم أن يستدلّ بقوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيـــا التـــى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [(١)] على أن الرحلة كانت منامًا لأن الرؤيا تختـص بالنوم ورد على ذلك جمهور العلماء بأن الرؤيا تكون بمعنى الرؤيـــة فـــى اليقظة ـــ أيضًا ـــ .

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا ﴾ . الإسراء : ٦٠ .

ورُوى عن عائشة ومعاوية ــ رضى الله عنهما ــ إنكـــار الإســـراء والمعراج بالجسد ، فعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : والله ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه، وعن معاوية: إنما عرج بروحه .

ولكن جمهور العلماء يذكرون عدم صحة هذه الروايات لأن عائشـــة فى وقت حدوث هذه المعجزة كانت صغيرة ولم يكن الرسول قد تزوجـــها بعد ولم يكن معاوية قد أسلم فى هذا الوقت .

وقد كان النبى ﷺ ــ كما فى بعض الروايات الصحيحة ــ نائمًا فـى بيت أم هانئ تقول : فقدته ﷺ وكان نائمًا عندى فامتنع منى النوم مخافة أن يكون بعض قريش فعلوا به شيئًا من أذاهم ، وقد بلغ خـــبر مغيبــه إلـــى أقربائه بنى عبد المطلب فسألوا عنه إلى أن أخبرهم برحلته المقدسة .

وقد وقع الإسراء والمعراج فى السابع والعشرين من شـــهر رجـــب وهو الراجح عند العلماء .

رحلة الإسراء والمعراج معجزة

س : ماذا تعنى رحلة الإسراء والمعراج بمفهومها الشامل ؟

ج : هذه الدعوة الإلهية لرسول الإنسانية إلى الرحاب الإلهى الكريم هـــى معجزة بكل المقاييس لا يقدر عليها إلا ذو الجلال القادر فبينما كان النبـــى ﷺ يبيت عند أم هانئ إذ بجبريل ــ عليه السلام ــ يأتيه بالبراق وينقله بعد أن شق صدره وحشاه بالحكمة والإيمان إلى بيت المقدس بالشام أعده مـولاه الإعداد الحقيقى لملاقاة ذى الجلال ، وأجرى له الاستعداد النفسى والجسمى الملائم ، أما كيف شق صدره الشريف وأما كيف قطع المسافة الطويلة إلى بيت المقدس فى جزء من الليل لا يعد بمقياس الزمن شـــيئًا فـــهذا بعنايـــة

اللطيف الخبير ثم كيف بعثت الأنبياء فصلى بهم إماماً فهذا أيضًا من صنع الخالق القادر على الإماتة والإحياء، ركب البراق الذى كان خطوه على مدى بصره وهذا لا يتحقق لدابة أرضية على الإطلاق ، ثم إنه ﷺ عرج به إلى السماوات العلا وبين الأرض والسماوات فرق شاسع يقطع كما يقول العلماء فى العصر الحديث فى(٥ر٥) مليارات من السنين فكيف طويت صفحة الزمن وأوقف عن السير المعهود وتمت الرحلة إلى السماوات فى لحظات يسيرة بحيث عاد ﷺ إلى فراشه فوجده دافئًا وكأنه لم يفارقه .

ولقد التقى الرسول الكريم بالرسل خلال الرحلة مرتين . الأولى حينما صلى بهم فى بيت المقدس (المسجد الأقصى) والثانية حينما كان مع جبريل وصعد فى السماوات فوجد فى السماء الأولى أباه آدم عليه السلام ، وفى السماء الثانية يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ وفى السماء الثالثة يوسف عليه السلام ، وفى السماء الرابعة إدريس عليه السلام ، وفى السماء الخامسة هارون عليه السلام ، وفى السماء السادسة موسى عليه السلام ، وفى السماء السابعة إبراهيم عليه السلام ، وقد سلم عليهم جميعًا ورحبوا به وقالوا : مرحبًا بالنبى الصالح وذلك دليل على تتابع الرسالات على عقيدة التوحيد الخالصة كما قال تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[1]، وقال ﷺ فيما رواه البخارى عن سالم بن عبد الله عن أبيه،أنه أخبره أنه سمع رسول ﷺ يقول

---

(١) الشورى : ١٣ .

[أوتى أهل التوراة التوراة ، فعملوا حتى إذا انتصف النـــهار عجـزوا ، فاعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتى أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا إلى صـلاة العصر ثم عجزوا ، فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلـــى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتاب : أى ربنـا ، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا ونحن كنا أكــثر عملاً ؟ قال: قال الله عز وجل : هل ظلمكم من أجركم من شيء ؟ قـالوا: لا ، قال : فهو فضلى أوتيه من أشاء] (عمدة القارى ٥/٥٠) .

الإسراء والمعراج دعوة إلى وحدة الأمة ضد الأخطـــار التـي تحيط بها :

لقد تمت الرحلة الأرضية السماوية بالرسول الكريم من مكـة إلـى القدس هذان المكانان المقدسان كما قال تعالى : ﴿ **سبحان الـــذى أسـرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ (١) ، وكان ذلك بيانًا لمـا فـى هـذه الأماكن المقدسة من بركة، فقـد بـارك الله حـول المسـجد الأقصـى بالزروع والثمار والخصب الوفير ، وبارك فيها وما حولها باعتبارها مـهد النبوات .

ويذكر القاضى مجير الدين الحنبلى أخباراً عن ظهور الأنبياء بـهذه البقعة المباركة فآدم ــ فى بعض الروايات ــ هو الذى قـام ببنـاء بيـت

---

(١) الإسراء : ١ .

المقدس ودفن بين القدس والخليل ، وسفينة نوح طافت بالمسجد الشـــريف وسكن صالح فى بلاد فلسطين بعد هلاك قومه ، وإبراهيم مكث مقيمًا بيـــن الرملة والقدس بعد هجرته من مقر آخر وتزوج من أهلـــها الكنعـــانيين ، وهكذا يتراسل الأنبياء هذا المهد إلى عيسى عليه السلام وقد كان الـــرزق يأتى السيدة مريم فى المحراب وهو مكان مرتفع فى المسجد الأقصى كـــان مقرًا لها مثل ما نشاهده فى باب الكعبة الآن ، وكان زكريا ــ عليه السـلام ــ يأتيها بالطعام والشراب فيجد عندها من الرزق الوفير فيعجب له **﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾** [١] ، وبشرها الله تعالى بعيسى السلام فى هذا المكـــان المبارك **﴿ إذ قالت الملائكـــة يـــا مريـــم إن الله يبشـــرك بكلمـــة منـــه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربيـــن * ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ﴾** [٢] .

ثم إن مكان إسرائه عليه السلام من المسجد الحرام يبين أهمية هـــذا المكان وما كان من بركات بحلول إسماعيل وأمه هاجر فيه فنبعت زمـــزم واجتمع الناس وسعد المكان بالخير **﴿ ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة مـــن النـــاس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾** [٣] .

---

(١) آل عمران : ٣٧ .

(٢) آل عمران : ٤٥ ــ ٤٦ .

(٣) إبراهيم : ٣٧ .

وجاء الإسراء تسرية عن الرسولﷺ بعد أن كذبه قومه وخرج إلى الطائف ليلاقى العنف من أهلها وينزل إليه ملك الجبال استجابة لدعوته قائلاً له : " إن شئت أطبق عليهم الأخشبين ويقول له الحق سبحانه : **﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾** (١) .

ولقد لقى ربه عياناً: **﴿ عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى ﴾**(٢). وأراه الله تعالى نهرى النيل والفرات ليبشره بفتح هذه الأرض وانتشار الدعوة وتبنيها والدفاع عنها ، وفرضت الصلاة التى هى الصلة بين العبد وربه مباشرة لا عن طريق الوسائط الأخرى .

إن القدس عربية الدم واليد واللسان فالشعب الذى سكنها هو من العرب الكنعانيين وهم اليبوسيون الذين سكنوا أرض فلسطين فى الألف الرابعة أو الألف الثالثة قبل الميلاد وللقدس منزلة كبرى تزداد شرفاً وقداسة فهى مسرى النبى ﷺ وفيها المسجد الأقصى الذى هو القبلة الأولى للمسلمين فى الصلاة مدة بلغت ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا تحول بعدها المسلمون للصلاة إلى الكعبة كما قال تعالى :**﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾** (٣). وقال سبحانه : **﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا**

---

(١) هود : ١٢٠ .

(٢) النجم : ١٤ ــ ١٥ .

(٣) البقرة : ١٤٣ .

عليها ﴾ [1] . وقال عز حكمه : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾** [2] .

والمسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها قال ﷺ ــ فيما رواه البخارى ــ : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى "، ويضاعف أجر الصلاة فيه فقد قال ﷺ : [**الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة**] .

وشد الصحابة والتابعون والخلفاء الرحال إليه وتتابعوا عليه من الأيوبيين والمماليك والعثمانيين وكان بعضهم يكنس الصخرة ويغسلها بماء الورد ومنهم سلطان مصر الظاهر بيبرس والملك الناصر محمد بن قلاوون وكذلك السلطان التركى سليمان القانونى والسلطان عبد المجيد وغيرهم .

ويبدو على طرف الصخرة الأيمن أثر قدم الرسول ﷺ ليلة المعراج من فوقها وقال ﷺ : [**صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة**] وقد أقام عمر بن الخطاب بها مسجده (مسجد قبة الصخرة) وأقام بها عبد الملك بن مروان كذلك مسجدا وبنى فيه السلسلة إلى اليمين من قبة الصخرة وتوالت عمارته على يد الوليد بن عبد الملك وأعيدت عمارته فى العصر العباسى والفاطمى والأيوبى والمملوكى وبعد الحروب الصليبية جدده صلاح الدين وجددت قبة الصخرة سنة ٥٨٥هـ .

---

(١) البقرة : ١٤٢ .

(٢) البقرة : ١٤٤ .

ودعاوى اليهود فى المدينة المقدسة أو فى غيرهـــا مـــن أراضـــى فلسطين كلها حكايات خرافية كما يقول الصحفى البريطانى تيرى كولمـــان فى صحيفة الجارديان البريطانية .

ولا يوجد ما يسمى حائط المبكى وقد تشكلت لجنة دولية من قانونيين من سويسرا وهولندا والسويد سنة ١٩٩٣م وأطلق عليها اسم لجنة الـــبراق واجتمعت ثلاثة وعشرين جلسة واستمعت إلى شهود ومحامين من أنحـــاء العالم وأصدرت قراراتها من أن حائط البراق الذى أطلق عليه خطأً اســـم حائط المبكى حق للعرب والمسلمين لأنه جزء من الحرم الشريف والساحة المجاورة للحرم ملك إسلامى والأماكن المجاورة للحرم أوقـــاف إســـلامية واعترفت بذلك الحكومة البريطانية فى كتابها إلى البرلمان ســـنة ١٩٢٨م ولا يوجد ما يسمى باطلاً وزوراً بهيكل سليمان ولكن إسرائيل استمرت فى الاستيلاء والمصادرة لممتلكات العرب فى القدس منذ عدوان ١٩٦٧م .

ولابد من تحرك ضمير الإنسانية ، لقد وجـــه المـــؤرخ الإنجلـــيزى أرنولد توينبى إلى اليهود قوله : (لا تقترفوا أخطاء الصليبيين) .

ولابد من تنبه العرب والمسلمين إلى ما يجرى من سفك الدماء فـــى القدس والأرض الفلسطينية على يد عصابة الصهاينة وما يحيكونـــه مـــن اضطهاد دينى وعنصرى ولابد من جمع الكلمـــة والدفـــاع عـــن القـــدس والمسجد الأقصى .

علينا أن نعيد على مسامعنا انتصارات صلاح الديـــن الأيوبـــى وأن نقف إلى جوار الشعب الفلسطينى وانتفاضة الأقصى التى ندعو إلى دعمـــها بالمال والعتاد من بلدان العالم العربى والإسلامى حتـــى تتحـــرر الأرض

العربية ويعود النازحون إلى ديارهم من أبناء فلسطين الذين شردهم اليهود ، **ويعود المسجد الأقصى والقدس الشريف إلى أصحابه الحقيقيين** كما تقرر ذلك المواثيق الدولية .

وعلى المسلمين والمسيحيين أن يؤازر بعضهم بعضًا لحماية المقدسات الإسلامية وتخليصها من براثن العدو الصهيوني وعليهم تحصيل القوة الروحية التى تتضافر مع القوة المادية لمواجهة ما يحدق بالأمة من أخطار فإن العزيمة القوية تخلق الرجال وتنفى عنهم الضعف والهزال ولقد نصر الله تعالى رسوله وأتباعه فقال : **﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾** (١).

وعلينا أن نأخذ بمقولة عمر بن الخطاب فى كتابه إلى سعد بن أبى وقاص قبل حسم المعركة فى القادسية (إننا لا ننتصر على العدو بكثرة أعدادنا ولا معدلات الحرب فهم متساوون معنا فى ذلك أو يزيدون ولكننا ننتصر عليهم بأعمالنا) ، **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾** (٢)، ومهما تطل الأيام فلن تطول كما طالت الحروب الصليبية قال تعالى : **﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ليَسُوءُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾** (٣). ولقد عاد محمد ﷺ من رحلة الإسراء والمعراج منتصرًا وأيده الله بالمعجزات وهو يؤيد المستمسكين بالحق المدافعين عنه .

---

(١) المجادلة : ٢١ .

(٢) الرعد : ١١ .

(٣) الإسراء : ٧ .

عصمة الرسول ﷺ عما يصرفه عن تبليغ رسالته إلى الناس

إن الله تعالى عصم رسوله محمدًا ﷺ وحفه برعايته وصانه بحفظه فلم ينفذ إليه الشيطان ، ولم يخضع لمحاولات المشركين لصرفه ﷺ عن تبليغ رسالته إلى الناس .

ولذلك ينتفي عن ساحته زعم الزاعمين .

يزعم بعض الزاعمين أن الشيطان ألقى فى نفس النبى ﷺ خواطر وشغله بأمور الدنيا بهدف أن يدخل عليه الوهم والنسيان واستندوا فى زعمهم إلى قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله أياته والله عليم حكيم** ﴾ (١) .

ونقول : لقد فسر المغرضون زعمهم هذا من خلال فهم سقيم لهذه الآية ، والواقع أن – الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – لا يعتريهم خاطر شيطانى والرسول ﷺ معصوم من الشياطين كما قال تعالى : ﴿ **إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** ﴾(٢). وهو

---

(١) الحج : ٥٢ .

(٢) الجن : ٢٧ .

معصوم من النسيان بمقتضى قوله تعالى : ﴿ **سنقرئك فلا تنســـى** ﴾ [(1)] ، ولا يأتيه إلا خواطر ملك الوحى جبريل ، كما قال ﷺ : [**إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها**] (الحديث) .

ومعنى الآية بعيد كل البعد عما زعموا ، فمعنى ﴿ **ألقى الشيطان فــى أمنيته** ﴾ أن الشيطان يتسلط على عقول المشركين فيحرفون معانى الآيــات القرآنية ويحولونها إلى الباطل بفعل الشيطان معهم ، والرسول ــ بتوجيــه من الله ــ يوضح المراد وينفى الباطل الذى يدعون .

ومن المزاعم التى يزعمونها أن الرسول الكريم ﷺ كان يركن ويميل ويتبع مراد المخالفين للدعوة ، واستندوا إلى قولــه تعــالى : ﴿ **ولــولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** ﴾ [(2)] .

ونقول : لقد حمى الله تعالى نبيــه ﷺ مــن الاســتجابة لمحــاولات المشركين مما عرضوه عليه بأن يمسك عن شتم آلهتهم ، وأن يعبدها حتــى يعبدوا إلهه وأن يجعل لكبرائهم مجلسا لا يجتمع معهم فيه الفقــراء وغــير ذلك ، لكنه لم يحدث منه ميل أو ركون إلى ما أرادوه ، وقولــه تعــالى : ﴿ **لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** ﴾، لا يعنى أنه نفذ لهم شيئا مما طلبوه ، لأن الله تعالى عصمه حتى من مجرد التفكير فيما يطلبــــون منـــه، فـــهو لن يستجيب لطلبهم فى عبادة غير الله ، كما جاء فى سورة "الكافرون"، ولن يعرض عن مجالسة الفقراء فهم المؤمنون وهو مطالب بمناصرة المؤمنيــن

---

(1) الأعلى : ٦ .

(2) الإسراء : ٧٤ .

ولو كانت منزلتهم الاجتماعية دون منزلة الكبراء المعـــاندين كمـــا قـــال تعالى : **﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريـــدون وجهه ﴾**[1] .

هكذا يحمي المولى سبحانه رسوله ، وتتبين الحقائق ناصعة ويبـــدو الفهم السليم لآيات الكتاب العزيز ، أما هؤلاء المرضـــى مـــن المنـــافقين والمشككين فقد عميت أبصارهم أو تعاموا فضلوا ضلالاً بعيدًا ، وبقى مقام النبوة الكريم محروسًا بعناية الله .

---

(١) الكهف : ٢٨ .

عتاب الرسول ﷺ

إن الله تعالى قد عصم رسوله محمدًا ﷺ وحرسه بعنايته وقد رباه مولاه وأحسن توجيهه فيما اجتهد فيه بألوان من العتاب الرقيق ليبقى على ما أراده الله رسولا كريمًا لا يحيد عما أوحى إليه .

والعتاب أسلوب رقيق يجرى بين الأحبة ولا يخل بالمودة ومع استخدام الرفق واللين يبدو الحرص على ما كان ينبغى على النبى ﷺ فعله .

لقد عاتب الله تعالى رسوله فى أسرى بدر بأخذ الفداء وترك القتل كما جاء فى قوله تعالى : **﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ﴾** (١) .

وقد زعم زاعم أن عتاب المولى سبحانه للنبى ﷺ فى عدم قتل الأسرى دعوة إلى العنف ، والحقيقة أنه سبحانه لم يطلب من النبى قتلهم بعد الأسر وإنما عاتبه على أن المسلمين لم يقتلوا هؤلاء المشركين قبل الأسر فى ميدان معركة بدر وقد كانوا من رؤوس المشركين الذين عذبوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ، مما كان يقتضى ردعهم فى أول معركة بين الحق والباطل ، أما بعد أسرهم فقد أباح الله تعالى لنبيه أخذ الفدية ،

---

(١) الأنفال : ٦٧ .

فقال سبحانه : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا** ﴾ (١) . وفى المعارك التالية ــ بعد استقرار الدعوة ــ أباح للمسلمين أخذ الفداء صراحة فقال سبحانه : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها** ﴾ (٢) .

وعتاب ثان للنبى ﷺ على عفوه عمن تخلف عن الجهاد فى غزوة تبوك بقوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ (٣) .

والواقع أن المنافقين هم الذين تخلفوا عن هذه الغزوة وقدموا المعاذير للرسول وأكدوا بالأيمان الكاذبة فأذن لهم وهو بشر يعلم الظاهر والله يتولى السرائر فبين له الله تعالى عدم صحة أعذارهم وأنهم أرادوا الإفلات من المعركة وخسائرها فى زعمهم ، وجاء العتاب رقيقًا مقدمًا العفو عن الرسول فيما فعله من قبول أعذار المنافقين مع عدم التثبت من صحة اعذارهم وهذا درس لنا أن نتثبت قبل إصدار الأحكام وفى أخذ الحذر والحيطة لمن نتعامل معهم ممن يظهرون النفع وهم فى الحقيقة يضرون الأمة .

وعتاب ثالث للنبى ﷺ على ما حدث منه مع (عبد الله بن أم مكتوم) ــ الأعمى ــ فقال : ﴿ **عبس وتولى * أن جاءه الأعمى** ﴾ (٤) .

---

(١) الأنفال : ٦٩ .

(٢) محمد : ٤ .

(٣) التوبة : ٤٣ .

(٤) عبس : ١ ــ ٢ .

وللرسول ﷺ عذره ، فقد كان مع جماعة من صناديد قريش وجـــاء عبد الله وناداه فأعرض عنه الرسول حتى ينتهى من لقاء عظمـــاء القـــوم الذين يرجو لهم الهداية ، وهذا من منطلق حرص الرسول علــــى هدايـــة الناس جميعًا لكن الله تعالى وجه رسوله إلى أن المبادرة إلى الطائع أولــــى وهو سبحانه يعلم الدخائل والحقائق ويعلم رسوله ويوجهه هـــذا التوجيــه السليم .

ولا شك أن هذا يؤكد حدب الحق سبحانه على سلامة تصرف نبيـــه فى أداء الرسالة الموكولة إليه .

وهذا يعطينا درساً فى النصح والإرشاد وتوجيه من يحتاج إليه عمــلاً بقول الرسول ﷺ : [**الدين النصيحة**] . قلنا : لمن يا رســول الله قــال : [**لله ورسوله وللمسلمين وعامتهم**] .

شفاعة النبي ﷺ

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن نبي البشرية محمدًا ﷺ الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة فينقذهم من هول الموقف ، يقول ﷺ : [**إن الناس يأتوني ــ بعد ذهابهم إلى أولي العزم من الرسل وأبيهم آدم ــ فأذهب إلى ربي فإذا رأيته خررت ساجدًا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن . فيقال لي : أي محمد . ارفع رأسك وقل تسمع ، وسل تعط واشفع تشفع ، قال : فيحد لي حد فأدخلهم الجنة وذلك بإذن الله تعالى بالشفاعة**] كما قال سبحانه : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ [1] .

وقد اتفق أهل السنة والجماعة أنه ﷺ يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

فعن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ : [**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**] ، وعن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال : [**شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**] ويقول : [**خيار أمتي يدخلون الجنة بأعمالهم وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي**] .

---

(١) سبأ : ٢٣ .

وهو ﷺ يشفع فيمن يستحق دخول النار ، ألا يدخلها ، ويشفع ﷺ في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهى مختصة به ﷺ .

ويشفع في إخراج قوم من النار .

ويشفع في تخفيف العذاب عمن استحق العذاب في النار ومن أدلة ذلك الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال : [**أنا أول شافع وأول مشفع**] . وذكر عنده بعضهم فقال : [لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من نار] كما يشفع ﷺ في زيادة الدرجات في الجنة .

جعله الله تعالى شفيعًا لنا يوم القيامة وأعطاه الوسيلة والفضيلة وبعثه المقام المحمود الذى وعده بقوله سبحانه : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ (١) .

---

(١) الإسراء : ٧٩ .

الشفاعة المحمدية ثابتة

هناك من الكُتاب من يقصر فهمهم عن بعض آيات القرآن الكريم ومن ذلك قول الله تعالى : **﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالدًا فيها وله عذاب مهين ﴾** [1] . فيرون أن هؤلاء مسلمين يدخلون النار خالدين فيها وما هم عنها بمخرجين ؟ وكذلك الآية الأخرى التى يقول فيها ربنا : **﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمًا ﴾** [2] .

والواقع أن هذا الفهم ـــ فى الآيتين الكريمتين ـــ ليس من بنات أفكار هؤلاء بل هو رأى الخوارج الذين كفروا مرتكب الذنوب وجعلوا جميع الذنوب كبائر ، ورأى المعتزلة الذين أخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان فمن يتعد حدود الله ومن يقتل مؤمنًا عندهم مخلد فى النار .

وهذا الرأى مردود عليه عند المحققين والعلماء من أهل السنة .

أولاً : لأن ما فى قواميس اللغة والمعاجم من معانى الألفاظ اللغوية لا يؤيد هذا الرأى الذى قال به الخوارج والمعتزلة ، فالخلود ـــ كما يكون بمعنى البقاء الدائم ـــ يكون بمعنى المكث مدة طويلة ، يقال فى اللغة : خلد بالمكان : أطال الإقامة فيه .

---

(١) النساء : ١٤ .

(٢) النساء : ٩٣ .

وبناء عليه فالآية الأولى إخبار عن تعذيب المتعدى لحدود الله بعض الوقت لا كل الوقت ، وكذلك الذى يقتل مؤمنًا متعمدًا يمكث مدة فى النار — فالخلود فى الآيتين — بمعنى المكث الطويل لا البقاء الدائم .

ثانيًا : تشهد الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة بأن المؤمن الطائع يدخل الجنة ، والمؤمن العاصى إذا تاب عن ذنبه صار كمن لا ذنب له فيدخل الجنة — أيضًا — ، أما المؤمن الذى يرتكب الذنوب — غير الذنوب التى تؤدى إلى الكفر — ولم يتب عنها فهو فى مشيئة الله تعالى ، إن شاء عفا عنه فيدخل الجنة مصداقًا لقوله تعالى : **﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾** (1) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : **[من قال لا إله إلا الله دخل الجنة]** ، وإن شاء عذبه على مقدار ذنوبه ثم يدخل الجنة مصداقًا لقوله تعالى : **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾** (2) .

وهذا هو رأى أهل السنة فهم لا يكفرون أحدًا من المسلمين بارتكاب الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة ، بشرط ألا تكون من الذنوب المكفرة . فالمؤمن يدخل الجنة على ما مات عليه من اعتقاد صحيح فى ألوهية الله تعالى وحده وعلى ما قدم من العمل الصالح .

---

(1) النساء : ٤٨ .

(2) الزلزلة : ٧ — ٨ .

وإذا قيل : كيف لا ينفذ الله تعالى وعيده بالعذاب فى عصاة المؤمنين وكيف يعفو عنهم ؟

فنقول : إن الكريم يمكن أن يهدد ولا ينفذ تهديده ووعيده ، والعفـــو عن الوعيد فضل ورحمة منه ، وفى حديث أنس ــ رضى الله عنــه ــ أن النبى ﷺ قال : [**من وعده الله تعالى على عمله ثوابا فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقابا فهو بالخيار إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنـــه**]. فلا يمنع من دخول الجنة من نطق بالشهادتين ومات على الإيمان .

وينفى البعض الشفاعة العظمى وأنواع الشفاعة الأخرى التى أختص بها ﷺ والتى يأذن الله تعالى لبعض خلقه ، مدعيا أن الشــفاعة لا يقصــد منها إلا مجرد البشارة .

ويقع فى خطأ شديد من يفسر المقام المحمود للرسول ﷺ بأنه مقـــام البشارة فى قوله تعالى : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ [(1)] .

ويقول أحدهم : (والمقام هنا مقام البشارة العظمى ــ والله أعلـــم ــ وليس مقام الشفاعة العظمى ــ كما يذكر المفسرون ــ والأقـــرب ــ فـــى زعم الكاتب ــ أن يكون هذا المقام المحمدى هو مقام (البشير الأعظـــم) ويؤكد ذلك القرآن مكررا فى آياته أنه هو الذى أرسل رســـوله للعـــالمين نذيرا ، وبشيرا وبحكم القرب من الله سيكون أول من يعلـــم بـــالعفو عـــن السعداء من أمته وسيكون أول من يبشرهم بالجنة والرضوان) .

---

(1) الإسراء : ٧٩ .

وهذا فهم خاطئ للشفاعة ؛ لأنه فهم أن الشفاعة والمقام المحمود تعنى ادخال العصاة الجنة مطلقا .

ولم يعرف أن للرسول ﷺ أنواعا من الشفاعات الثابتة بالآيات والأحاديث الصحيحة ، وأن المراد بالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى ، وهى ليست الشفاعة للعصاة ــ كما تصور الكاتب ــ وإنما هى رجاؤه الحق سبحانه أن ينقذ الناس جميعا من هول الموقف بسرعة القضاء بين الناس والفصل بينهم حتى يريح الخلق من طول الوقوف ومشقته ، وهى مختصة بالنبى ﷺ ، فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع ، ودلت الأحاديث الصحيحة على أن الناس يوم القيامة يذهبون إلى آدم وأولى العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيردهم كل نبى إلى الذى بعده فيقولون : [**اذهبوا إلى محمد فيشفع ليقضى بين الخلق**] فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم . رواه البخارى عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما .

ومثل هذا ، حديث شهادته ﷺ على الرسل جميعا بأنهم قد بلغوا رسالات ربهم إلى الناس فى هذا الموقف العظيم ففى الحديث (يدعى نوح فيقال : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد فيقال : من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمته ، قال : فيؤتى بكم تشهدون أنه قد بلغ ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**

ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [1] وقوله سبحانه : **﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾** [2] .

فالمقام المحمود ليس هو التبشير والإنذار أو التبشير الأعظم كما قال الكاتب .

والنوع الثانى : هو شفاعته ﷺ ، وشفاعة غيره للعصاة من مرتكبى الكبائر ، وقد أنكر الكاتب هذا النوع من الشفاعة ــ أيضا ــ مدعيا أن أهل النار لا يخرجون من النار أبدا بمقتضى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى: **﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾** [3]، ومدعيا أن الرسول لا يستطيع إنقاذ أحد من النار بمقتضى قوله تعالى : **﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار ﴾** [4]، وأن للنار أبوابا ولكل باب من يمر منه وهو معلوم محدد لا يتغير ولا يتبدل : **﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾** [5]. وقد غفل الكاتب عن أن المخلدين فى النار هم الكفار لا عصاة المؤمنين ، وهم الذين لا يخرجون من النار ومكانهم معروف ، ولنقرأ الآيات لنعرف سياقها ؛ فالآية الأولى التى أوردها الكاتب مترتبة على ما قبلها من الحديث عمن يتخذون شركاء لله يقول تعالى :

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

(٢) النساء : ٤١ .

(٣) البقرة : ١٦٧ .

(٤) الزمر : ١٩ .

(٥) الحجر : ٤٤ .

﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونـــهم كحب الله ﴾ [1] ، ويفرق القرآن بين هؤلاء الكفار وبين المؤمنين فيقول : **﴿ والذيـن آمنـوا أشد حبا لله ﴾** [2] ، لم يتكلم عمن يرون العذاب وأنهم الذين ظلموا "والظلم يعنى الشرك بالله" : **﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القـوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ﴾** [3] . ورؤوس الكفـر يغـرون سـواهم بالكفر ، فيضلون مثلهم ويدخلون النار ولا يخرجون منها .

والأمر مختلف ، فالشفاعة ليست للكفار إنما هى لعصاة المؤمنيـن ، وهكذا بتر الكاتب الآية عن سياقها وكذلك الآية الكريمة : **﴿ أفأنت تنقـذ من فى النار ﴾** [4] ، إنما هى فى الكفار ــ أيضا ــ فقبلـها : **﴿ فـاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليـهم يـوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النار ومـن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون ﴾** [5] ، وكـذلك مـن تحددت إقامتهم فى النار فهم من الكفار لا من عصاة المؤمنين ،فهذه الآيـة فيمن زين لهم الشيطان فصرفهم إلى الكفر ، كما قال تعالى : **﴿ إن الذيـن ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى**

---

(١) البقرة : ١٦٥ .

(٢) البقرة : ١٦٥ .

(٣) البقرة : ١٦٥ .

(٤) الزمر : ١٩ .

(٥) الزمر : ١٥ــ ١٦ .

لهم ﴾ (1) ، وكذلك ما ورد في سورة الحجر من تزيين الشيطان للكافرين عبادة غير الله .

وإن الحديث عن الذين خلطوا عملا صالحا والمرجون لأمر الله في اختصاص أمرهم بالله تعالى وحده ، ليس ناشئا عن أن الشفاعة مختصة بالله وحده وليس لأحد مطلقا شفاعة حتى محمد كما ادعى الكاتب .

ليس الأمر كما قال بل إن الكاتب فصل الآيات هنا عن سياقها ؛ فقد نزلت في غزوة تبوك بشأن بعض الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة ، بعضهم اعترف بالتقصير في أمر الخروج وبعضهم فوض أمره إلى الله أن يقبل توبته عما بدر منه، وذلك من أمور الدنيا فيما صدر عنهم من مخالفة الأمر بالخروج للغزو وليس ذلك بالحديث عن يوم القيامة ، إنما هو في أمر قبول توبتهم عما وقع منهم فذلك يخضع لمشيئة الله وإرادته .

والواقع أن تفسير القرآن ينبغي أن يكون مبنيا على أساس سليم لا على مجرد الاجتهاد والتخمين من غير سند أو دليل ، ولا صلة لهذه الآيات بموضوع الشفاعة لعصاة المؤمنين .

وقد جعل الكاتب الشفاعة لله وحده نافيا لها عن غيره وأورد بعض الآيات التي اراد الاستدلال بها على ذلك ، فقال : (الشفاعة ينفرد بها الله وحده ، وهذا ثابت مطلق من ثوابت القرآن لا مرية فيه) و(القانون العلم

---

(1) محمد : ٢٥ .

فى ذلك اليوم ــ يوم الدين ــ يوم تدان الأنفس بما عملت ، أنه لا شــفاعة تجدى، ولا شفاعة تقبل لأنه لا أحد يملك هذه الشفاعة فلله الشفاعة جميعا).

وشفاعة من يشفعون هى عبارة عن التهنئة بالنجاة ولا تكون إلا بعــد أن يشفع الله بأن يصدر العفو والصفح إذا أراد أو يجازى من يريـــد ثــم يخرجه من النار بعفوه وصفحه : **﴿ ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتـــاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾** (١) .

ونحن نرى أن الكاتب قد تعجل فادعى أن معنـــى الشــفاعة عــدم محاسبة العاصى على عصيانه .

وهذا يجعلنا نقول : هل مجرد شهادة أن لا إلـــه إلا الله دون عمــل تدخل الجنة ، ولو فعل قائلها السيئات ؟ فى رأى الكاتب وفهمـــه أن هــذا مجال الشفاعة ، وهو بهذا بعيد عما قرر العلماء بشأن الشــفاعة للعصـــاة من المؤمنين .

إن العلماء يقولون : إن الشفاعة لمرتكبى المعاصى مـــن المؤمنيــن تكون بعد الحساب والجزاء فى النار على ما ارتكبوا من المعـــاصى كمـــا يقول ﷺ : [**خيار أمتى يدخلون الجنة بأعمالهم ،وشرار أمتى ينتظـــرون شفاعتى**] .

فهذا النوع من الشفاعة يكون بإخراج قوم من النـــار بعــد قضائـــهم العقوبة على ما اقترفوا من السيئات ، وفى تخفيف العـــذاب عـــن بعـــض

(١) النساء : ١٢٣ .

الناس ، ولا يشفع أحد ـ ممن يأذن الله لهم فى الشفاعة ـ لمن دخل النار إلا بعد استيفائهم مدة العقوبة على المعاصى .

ومن أنواع الشفاعة التى هى ثابتة للمصطفى ﷺ أن يشفع لقوم لا يدخلون النار على بعض ما ارتكبوا من السيئات نظرا لأعمالهم الصالحة التى يتوب الله عليهم بها كما قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾** (١) ، وكما قال سبحانه : **﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** (٢) .

وليس مجرد الاعتقاد اليقينى مؤهلا صاحبه لنيل الشفاعة إلا إذا اقترن الاعتقاد بالعمل الصالح ، والتوبة عن السيئات ، فالعمل الصالح أساس قوى من أسس الإيمان ، ولذلك لم يأت الإيمان فى القرآن الكريم إلا مقترنا بالعمل كما قال تعالى : **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾** (٣) ، وكما قال عز حكمه : **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾** (٤) ، ومن أجل ذلك جاء الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن

---

(١) الصف : ١٠ـ ١٢ .
(٢) هود ١١٤ .
(٣) الكهف : ٣٠ .
(٤) الكهف : ١٠٧ .

عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : [**من شهد أن لا إله إلا الله .. أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**] .

والأحاديث التى تدل على أن من نطق بالشهادتين دخل الجنة وإن ارتكب السيئات محمولة على من تاب عنها ، وعمل الصالحات ، وبعد الجزاء عليها مثل حديث أبى ذر حينما حدثه الرسول ﷺ بأن [**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**] فسأله أبو ذر : وإن زنى وإن سرق فقال له الرسول ﷺ : [**وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر**] فهو محمول على دخول الجنة بعد توافر شرط دخولها السابق . ولا يتعارض هذا الحديث مع الحديث الآخر الذى قال فيه الرسول ﷺ : [**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**] إلخ ؛ لأن المراد نفى كمال الإيمان لا نفى الإيمان مطلقا .

فمآل عصاة المؤمنين ــ فى النهاية ــ الجنة ، بعد أن يأخذوا الجزاء على سيئاتهم ، وليس فى الإسلام أن يترك الإنسان الحبل على الغارب يفعل ما يشاء من المعاصى ثم يدخل الجنة ، والأقوال التى تدل على ذلك ضعف العلماء نسبتها إلى الرسول ﷺ مثل ما قيل من أن عبدا ارتكب معصية ثم دعا ربه فقال الله : " علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى ، ثم عاد العبد فارتكب معصية أخرى فدعا ربه فغفر له ، ثم كرر المعصية مرات أخرى فدعا فغفر له وقال الرب " فليفعل عبدى ما شاء " .

وقد يقول قائل : إن بعض الأحاديث دلت على أن دخول الجنة يكون برحمة الله لا بالعمل ، مثل قوله ﷺ : [**لا يدخل أحدا عمله الجنة**] ،

قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : [ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته] هذا حديث صحيح لكن الناس لا يفهمون المراد منه ، إن المراد من مثـل هذا الحديث أن أعمال الناس ــ إذا وزنت ــ لا تكافىء بعض ما أنعـم الله تعالى به على الإنسان من نعم كثيرة ، كسلامة أعضاء جسمه من يد وعين وقلب ومفاصل وغيرها ، ورزق ومكانة دنيوية ، والرسول رحمة للعالمين ــ كما قال تعالى : **﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾** [1] ، ولكن هــذا لا يعنى إدخالهم الجنة بلا عمل ، بل إن النبى ﷺ رحمة للنـاس يوجهـهم إلى ما ينفعهم وينهاهم عما يضرهم ، فذلك ــ والله أعلم ــ هـو الرحمـة المرادة كما قال سبحانه : **﴿ الذين يتبعون الرسول النبـى الأمـى الـذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بـالمعروف وينـهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ﴾** [2] .

وقد يقول قائل : ما فائدة الشفاعة إذا كانت لا تتحقق إلا بعـد توبـة العبد عن السيئات ومجازاته عليها ؟

فنقول : إن فائدتها هى إظهار مزية الشافع على غيره ، وبيان علـو مكانته عند الله تعالى ، فلولا الشفاعة لجاز بقاء المشفوع له فى النـار دون خروجه منها .

---

(1) الأنبياء : ١٠٧ .

(2) الأعراف : ١٥٧ .

فالشفاعة ثابتة للرسول ﷺ ، ومن يؤذن له فيها من قبل الحق سبحانه ولا يصح الجدل حولها ، لأنها لا تتعارض مع قيمة العمـــل ، ولا يصـــح إلغاء الأحاديث الثابتة الصحيحة ، ولا نسبتها إلـــى الإســـرائيليات رجمـــا بالغيب ، وقد قال ﷺ : **[من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار]** .

كما لا يصح تفسير آيات الكتـــاب العزيـــز إلا لمـــن يملـــك أدوات المفسر ويفسرها على وجوهها الصحيحة ، فالكاتب يدعـــى (أن إخـــراج الرسول بشفاعته للبعض من النار ، وإدخالهم الجنة يناقض صريح القـــرآن ولا يمكن أن يكون له أساس من الصحة) وهذه مصادرة علـــى الـــوارد الثابت دون دليل ثم إنه يفسر قولـــه تعـــالى : **﴿ ولا يشـــفعون إلا لمـــن ارتضى ﴾** [(1)] ، على أن شفاعة الملائكة للبعض تأتى تالية للعلم بأن الله عفا عن فلان وبعد الإذن ، فالعفو يصدر أولا ثم تأتى الشفاعة .

ونحن نختلف مع الكاتب فى هذا التفسير ؛ لأن الشفاعة تقع قبل علـــم الشافع بالعفو ، وتقع بعد ، على حـــد سواء ويكـــون معنـــى **﴿ إلا لمـــن ارتضى ﴾** أى إلا لمن سبق فى علم الله أنهم مرتضون ، والكاتب يـــرى أن معنى **﴿ فلله الشفاعة جميعا ﴾** أنه لا شفاعة لغير الله ، مع أن المراد أنـــه هو الذى يأذن بها لمن يشاء ، فالشفاعة ليست ــ كما قال الكاتب ــ تهنئـــة وبشارة ، وإنما هى رجاء من الله أن يعفو ، وهذا الرجاء يوافق ما ســـبق فى علم الله بالعفو وهو اعتذار عن المذنب ، ولا يتناقض هذا مع علـــم الله بظروف المذنب ؛ لأن الشفاعة ليست علما وإنما هى كما قلنا رجاء وأمل ،

---

(1) الأنبياء : ٢٨ .

ولو كانت الشفاعة لله وحده بالمعنى الحرفى لكان معناهـــا أن الله يطلـــب من نفسه أن يعفو ويصفح ، ولذلك يبطل قول الكاتب : (تخلص الشـــفاعة لله وحده فى جمعية تنفى تدخل أحد ولا يملك الكل إلا أن ينتظر ما تنطـــق به المشيئة) .

وإذا ثبت أن هذا الرجاء يكون لمن تحمل جزاء سيئاته ومـــن عمـــل صالحًا ينتفى ما ذهب إليه الكاتب من أن الشفاعة (وســـاطات وتزكيـــات) بغير حق وليس أحد بمالك يوم الدين إلا الله وحده . وهو الذى يملك العفـــو عمن يشاء ويتجاوز عمن يشاء فى إطار ما حده سبحانه من عـــدم إيقـــاع الظلم على أحد ، وكرمه وتفضله على عباده أمـــر يملكـــه هـــو ســـبحانه لا شريك له .

هدانا الله سواء السبيل .

وأقول فى بردتى اللامية :

شفاعة المصطفى العظمى ترافقنى
فيسهل الصعب عندى والعراقيل

وإذ يجود بيوم الحشـــــر سيـــدنا
سيسلم الجمع مما فيه قد هيـــلوا

" محمد" سيريح الناس قاطـــــبة
وفى مسالكه للخلد توصـــــيل

به ترجى أمانـــى لهـــــم كثرت
ويسعد الملتقى عـــــون وتذليل

لا تنكروا الحب إن الحب فى كبدى

ومله فيه لا يطفيه تصــويــل

لا تنكروا من أنينى روح مستبق

غنى وتحت غناء الدوح معــلول

يظل يحلم بالغايات فى ســـــفر

وفى البقيع يوارى وهــو محمول

حتى يقوم بيوم الحشر يسعـــده

شفيعه المصطفى والخِل معضول

ويدحض الزور عن قوم ذوى غرض

قد أنكروها ولب القوم مخــبول

سيحرمون شآبيب النجاة بها

ويخسأ اليوم وسط النار مرذول

وقلت فى بردتى الميمية :

ومن يسلم عند القبر يسمعـــــه

ومن يســلم مغفور لذنبــــــهم

قد قام مستغفرًا مستشفعاً رجــل

عنــد المقــام وألقى قول مغتنم

" يا خير من دفنت بالقاع أعظمه "

فطاب منها ربوع القاع والأكـــم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكـــنه

أهل العفاف وأهل الجود والكــرم

جاء الرسول إلى العتبى بلّــغه

تاب الكريم عليه توبة الكـــــرم

هو الشفيع لمن صلى عليه إذا

خفت موازينه فى الموقف الأزم

يقول هذى صلاة منه أودعـــها

بكفة الحسنات حــق محــــــتكم

ألست تعرف يا هذا نبيـــــكم

ألست تدرى شفيع الرسل والأمم

من لم يصل عليه لم يجد مــددًا

ولا شفيــعًا له من عقدة البكم

على الشفيع نصلى عدّ من خُلقوا

ومن يشــفع فيهم والــذين لم[1]

وعدّ ما كان أو يكون فى قــدر

وكل ما لم يكن فى عالم العدم

---

(١) لَم .. أى الذين لم يشفع فيهم .

الرسول ﷺ مع زوجاته

إن الرسول ﷺ تزوج كما هي عادة الرسل من قبله في الزواج وإنجاب الأولاد ، وهو ليس إلا بشرًا يجرى عليه كل ما يجرى على البشر ، وفضله عليهم هو نزول الوحى عليه لتبليغه للناس .

قال تعالى : : **﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية ﴾** [(1)] . وأمر سبحانه أن يقول : **﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾** [(2)] .

وقد تعددت أزواجه ﷺ ، وكان ذلك لحكمة لا للشهوة كما يزعم بعض المستشرقين وأذنابهم من أعداء الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا ﴾** [(3)].

فقد تعددت زوجاته ﷺ بعد أن صار كبير السن وتخطى عمره الخمسين ، وجميع زوجاته ثيبات (أرامل) ما عدا السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ فهى الوحيدة التى كانت بكرًا .

وأول زوجاته هى السيدة خديجة بنت خويلد ــ رضى الله عنها ــ وقد تزوجها أرملة وكانت سنها أربعين سنة ، وقد كانت تقية نقية عاقلة ذكية

---

(1) الرعد : ٣٨ .

(2) الكهف : ١١٠ .

(3) الفرقان : ٣١ .

أعانته فى تبليغ الدعوة ، وكانت أول من آمن به من النساء، وقــد قضـــى معها خمسًا وعشرين سنة من عمره لتصير سنه عند وفاتها خمسين عامًا .

وجاء زواجه ﷺ بالسيدة عائشة والسيدة حفصة لمكانة أبويهما فـــى الإسلام ، وقد تزوج أغلب نسائه ﷺ لتأليف القبائل وجمع الشمل حوله مثل السيدة جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق ، وقد أسلم من أجلها عـدد كبير من بنى قومها ، كما كان زواجه بالسيدة أم حبيبة (أرملة بنت أبـــى سفيان) لمكان أبيها فى قومه وكذلك السيدة زينب بنت خزيمة أرملة الشهيد عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب والسيدة زينب بنت جحش لسبب خـاص وهو إبطال عادة التبنى ، والسيدة صفية بنت حيى بـــن أخطــب والســيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية لأن أهلها آووا الرسول ﷺ ونصروه والسيدة سودة بنت زمعة وكانت تبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا ، والسيدة هند أمّ سلمة المخزومية التى هاجرت مع زوجها ، ثم استشهد فى غزوة أحـد ، وفى حجرها أيتام لها .

وقد أكرم الله تعالى هؤلاء الزوجات أمهات المؤمنين بصحبة رسـول الله ﷺ وكان عادلاً فى قسمه بينهن ، اللهم إلا فى الميـــل القلبـــى الـــذى لا يملكه ، وهو يضرب المثل فى العدل بينهن وقد كـــنّ الطريـــق لتبليـــغ الدعوة ولا سيما فى الأمور الدقيقة التى تسأل عنها النساء ، وقـــد حملـــن أمانة التعليم لأحكام الشريعة والكشف عن حياة الرسول ﷺ وما يأتيه مـــن الوحى كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرهـــا مـــن الأحكام ولا سيما المسائل التى يغلب فيها حياء المرأة .

وكان بيت النبي ﷺ وزوجاته مثال الطهر والعفاف والقناعة والرضا بالقليل من متاع الدنيا ، ويوم حدثت بعضهن أنفسهن كيـــف يكـــن أزواج رسول الله ﷺ ولا يستمتعن بمتع الدنيا مثل غيرهن من النساء ، نزل قولـــه تعالى: **﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيـــا وزينتـــها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورســـوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجـــرًا عظيمًـــا ﴾** (1) . وقـــد جاءت لهن هذه التعاليم فالتزمن بها ولم يـــردن مفارقـــة الرســـول ﷺ ، ورضين بالله ورسوله وبما لدى الرسول من مال وإن كان قليلاً ، إذ كـــان يمضى الشهر أو أكثر منه ولا يوقد فى بيته نار .

وكن على ما أراد الله لهن ملتزمات بالطاعة الخالصـــة لله تعـــالى ورسوله ﷺ وعمل الصالحات والالتزام بآداب الإسلام وأحكامه الخاصـــة بطهارة بيت النبوة الذى يجب أن يبعد عن الريب ، وكن ملتزمات بـــأداء حقوق الله تعالى من الصلاة والزكاة وغيرها من العبادات والعمل بـــالقرآن الكريم والسنة الشريفة ذلك الوحى الذى يتنزل فى بيت النبوة .

وكن قانعات بما قسم الله لهن، مكتفيات بشرف الزواج من الرســـول ﷺ وكان الرسول ﷺ معهن فى تعاون أُسرى ينبغى أن يتأسى به كـــل مســـلم ومسلمة ، فلما سئلت السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ : كيف كان النبى ﷺ فى بيته ؟ قالت : كان يكون فى مهنة أهله ، فكان يعاونهن فى بعـــض الأمور ، ويتولى بعضها بما يحفظ للبيت النبوى كرامته وهيبته ، ويضرب المثل لنساء المؤمنين أن يقتدين بزوجات النبى ﷺ فى سلوكهن وملبســـهن ومطعمهن ومسكنهن وحسن المعاشرة الزوجية .

---

(1) الأحزاب : ٢٨ ــ ٢٩ .

دور أمهات المؤمنين فى التاريخ الإسلامى وكيف أثرن فى تشكيل الكيان الأسرى الإسلامى

شهد البيت النبوى الكريم حياة زوجية كانت لها آثارهـــا البــاهرة ؛ فكل زوجة من أمهات المؤمنين أسهمت بنصيب فى تشكيل بناء الزوجيـــة المتين وإمداد الرسول بما زوده فى سبيل أداء رسالته بزاد قوى فى مــودة الأزواج وصلاحهن وتقواهن وتوجيههن دفة بعض الأمور التى تحافظ على بيوت الزوجية وعلى أداء الرسالة ، وكان النبى ﷺ مثال النبى والرجــــل الذى يجمع بين صفات الرجل وما يتصف به فى علاقاته مع زوجاته وبين تنفيذ تعاليم الله التى أوحاها إليه لتبليغها للناس ، ولذلـــك يعتــبر هــؤلاء الأزواج قدوة حسنة ومثلاً يحتذى لنساء المؤمنين على مرِّ الأزمان .

كانت زوجاته بجواره فى الشدائد والمحن ، وكن معه بدءاً من السيدة خديجة ــ رضى الله عنها ــ التى آزرته حين نزل عليه الوحى فى ليلـــة القدر ؛ فقالت له مشجعة مؤيدة (**كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصـــل الرحم وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين علـــى نوائـــب الحق**) وتهدئ روعه وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى بشــره بأن هذا هو الناموس الذى أنزله الله على موسى .

وكانت زوجاته ﷺ معه فى غزواته ومشاهده يمددنه بالزاد الروحـــى والمعنوى ويشجعنه على أداء رسالته .

ضربن المثل فى التقشف والزهد فى زخارف الدنيا ورضين بحـــب الله ورسوله وما وعدهن به عنده من النعيم الدائم : ﴿ **يا أيها النبـــى قـل**

لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأســـرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعــد للمحسنات منكنَّ أجرًا عظيمًا ﴾ [1] .

وكن قدوة للنساء المؤمنات فى التعلّم منهن على معاونة الزوج ، وأن يخففن عنه مئونة العيش وأن يشاركنه أعباء الحياة الزوجية بكل صروفــها وأعبائها وأن يكن معه فى السراء والضراء وأن يلتزمن بالمسئولية الملقــاة على عاتقهن كزوجات صالحات كريمات واصلات للأرحام وداعيات إليــه كما كانت حفصة أم المؤمنين الصوامة القوامة ، وكما كانت زينـــب بنــت خزيمة تسمى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليـــهم . وزينـــب بنــت جحش الزاهدة فى المال الموصوفة بالكرم ـــ أيضًا ـــ وكـــانت صالحــة قوامة صوامة صنّاعة تدبغ وتخرز وتتصدق بذلك كله على المساكين .

وفى الصحيح من حديث عائشة ـــ رضـــى الله عنــها ـــ أن بعــض أزواج النبى ﷺ قلن للنبى ﷺ ، أينا أسرع بك لحوقا ؟ قال : " **أطولكــن يدًا** " فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يدًا . فعلمنا بعـــد أنـــها كانت زينب بنت خزيمة لطول يدها فى الصدقة وكانت أسرعنه لحوقًا بـــه وكانت تحب الصدقة .

وكن الصادقات مع الرسول ﷺ ، قالت صفية بنت حُيي بن أخطـــب للرسول ﷺ فى مرض موته : والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى فمـــا كان من أزواجه إلا أن غمزن ببصرهن فمــــا راعـــهن إلاّ أن قـــال ﷺ :

---

(١) الأحزاب : ٢٨ـــ ٢٩ .

مضمضن ، فقلن : من أى شيء ؟ فقال : من تغامزكن بـــها . والله إنـــها لصادقة .

ومنعت أم حبيبة بنت أبى سفيان أباها ــ وهو كافر ــ أن يجلس على فراش النبى ﷺ حين جاء مفاوضا فى المدينة قبل فتح مكة ولما سألها فـــى ذلك قالت له : لا يجلس على فراش النبى مشرك .

وكن عالمات ورثن الفقه والحديث عنــــه ﷺ كمـــا كـــانت السـيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ وحفصة ــ رضى الله عنها ــ وغيرهما مــن زوجاته ﷺ إلى غير ذلك من صفاتهن الفاضلة وسلوكهن المحمود الـــذى تضرب به الأمثال وتعلمت منه وتتعلم نساء المؤمنين ويكفى أن يقـــول الله تعالى فيهن : **﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النســـاء إن اتقيتـــن فـــلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقـــرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكـــاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكـــم الرجـــس أهـــل البيـــت ويطهركـــم تطهيرا ﴾** [1] .

---

(١) الأحزاب : ٣٢ ــ ٣٣ .

الباب الرابع

سنتـــــــــه ﷺ

مكانة السنة والعناية بها

للسنة مكانة عظيمة فى نفس كل مسلم لأنها المصدر الثانى من مصادر التشريع ، وكما أن كل مسلم مطالب بنشر القرآن الكريم وإذاعته فى الناس ، ومطالب بنشر سنة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فإن الدعاة والأئمة بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة مطالبون بذلك .

وقد بذل السابقون من العلماء جهودهم وعنايتهم فى جمع السنة ونشرها فى الناس ، وقضوا حياتهم فى ذلك ، وعلينا أن نسير على منوالهم ، ونقتدى بهم فى نشر السنة ، وإذاعتها فى الناس جميعًا .

والإسلام يأمرنا بتوجيه الناس ، وتبصيرهم بطريق الله عز وجل : **﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾** [1] . **﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾** [2] .

ونشر السنة النبوية واجب دينى ووطنى وأخلاقى ، أما أنه واجب دينى فإن المولى سبحانه يأمرنا باتباع نبيه والأخذ بسنته **﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾** [3] . ، **﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾** . **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾** [4] .

---

(١) يوسف : ١٠٨ .

(٢) الأنعام : ١٥٣ .

(٣) النساء : ٨٠ .

(٤) آل عمران : ٣١ .

﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكـــم ﴾ [1] .
﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجـــدوا فـــى أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ [2] . **﴿ وما آتـــاكم الرســـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** [3] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن ما جاء به الرسول ﷺ هـــو طريـــق الهداية والاستقامة وصلاح الأمور ، وهذا ما أراده المولى عز وجل للناس **﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾** [4] ، وخاطب نبيه قائلاً : **﴿ وإنك لتـــهدى إلـــى صراط مستقيم * صراط الله ﴾** [5] ثم إن الله تعالى أذن لنبيه أن يبلغ الناس رسالة ربه **﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * وداعيـــا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا * وبشر المؤمنين بأن لهم مـــن الله فضـــلاً كبيرًا ﴾** [6] وقال : **﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يـــد الله فـــوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عـــاهد عليـــه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا ﴾** [7] .

---

(١) الأنفال : ٢٤ .
(٢) النساء ٦٥ .
(٣) الحشر : ٧ .
(٤) النور : ٥٤ .
(٥) الشورى : ٥٢ ــ ٥٣ .
(٦) الأحزاب : ٤٥ ــ ٤٧ .
(٧) الفتح : ١٠ .

وهكذا تتضافر النصوص القرآنية مؤكدة على اتباع الرسول ﷺ ، وداعية إلى قبول ما جاء به ، واتباع هداه ونشر دعوته وسنته ، وإن الذين لا يستجيبون لهذا الاتباع للنبى الكريم مهددون بالخسران والبوار ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [1] ، فمن أعرض عنها استخفافًا أو جحودًا وعنادًا خرج عن الإيمان .

وفى السنة النبوية كثير من الأحاديث التى تحض على نشر سنة الرسول الكريم ، ووجوب اتباعه فيما جاء به .

ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذى عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال : [نضَّر الله وجه امرئ سمع مقالتى فحفظها ووعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلَّغ أوعى من سامع] .

وفى خطبته ﷺ فى حجة الوداع طلب من الحاضرين أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ، فقد ورد فيها : [ألا هل بلغت اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب] ، وفيها يقول أيضا : [إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ،ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا ، إنى تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا ، كتاب الله] ، ويتضمن ذلك طاعته ﷺ فى الاعتصام بالسنة .

وهذه دعوة إلى نشر سنته والتمسك بها ، ويكفى دعوة الرسولﷺ لمن يبلغ سنته بالنضرة والبشاشة فى الوجه والسعادة على هذا النحو الجليل .

---

(1) آل عمران : ٣٢ .

كما أن الدار الآخرة التى يفوز فيها الإنسان مرهونة بطاعة الرسول الكريم ، فمن يتبعه نال الرضوان والجنة ، ومن عصاه حل عليه العذاب ، قال عليه الصلاة والسلام — فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه — [**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا يا رسول الله : ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى**] .

ونشر السنة واجب أخلاقى : إذ أنها طريق لنشر القيم ، والمثل الرفيعة التى تنقذ المجتمع من الضلال والفساد ، فهى وعاء لكل شريعة الله ؛ من عبادات ومعاملات وسلوك عام حسن ، قال عليه الصلاة والسلام : [**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**] ، والمقصود بالأخلاق هنا ما روته السيدة عائشة رضى الله عنها حين قالت : [**كان خلقه القرآن**] على معنى أن المقصود بالأخلاق ليس المفهوم الشائع بيننا ، وربما بين بعض الأئمة والدعاة ، من أن الأخلاق هى عبارة عن بعض أنواع السلوك العام ، كالمروءة أو الشجاعة أو المعاملة الحسنة للناس فقط ، وإنما المقصود بالأخلاق فى الحديث هو المعنى الشامل لكل مبادئ الشريعة ، مما جاء فى القرآن والسنة .

وقد جاءت الرسالة المحمدية مكملة لما جاء به الرسل الكرام من مبادئ فى العبادات والمعاملات وغيرها ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : [**إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا ، فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون حول البيت ، ويعجبون به ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين**] .

والنبى ﷺ جاء لإنقاذ البشرية من عثراتها كما قـــال : **[أنــا آخــذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها]** .

ونشر السنة واجب وطنى مهم لتعليم الناس طرق الاستقامة علـــى طريق الله ، فيستقيم الفرد ،ويستقيم المجتمع ، ويتربى علـــى الفضـــائل ، ويبعد عن الرذائل ، ولو أردنا نهضة لهذا المجتمع وتقدماً فإن علاجه فـــى نشر القرآن والسنة ، والخطيب والداعية المسلم يجد فى كتاب الله ، وســنة رسوله مادة خصبة لإرشاد الناس إلى عبادة ربـــهم وتعليمـــهم أنواعـــها ، ووسائلها ، ووظائفها فى المجتمع ، من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وغـير ذلك من المعاملات ؛ كالمضاربات والمشاركة والمرابحة وغـــير ذلـــك ، وسيجد فى السنة زادا واسعاً ، لذلك يستطيع أن يـــأخذ منـــه فـــى خطبـــه ودروسه ومواعظه ، فأمامه القرآن والسنة بما فيهما من التعـــاليم الإلهيـــة السامية يرفع بها من السلوك الفردى والجماعى ، ويحـــض علـــى خـــير المجتمع ، ويعلم كل الناس ما يجب عليهم من إتقان العمل ، والإخـــلاص فيه ، وبذل الجهد لرفع شأن الأمة ، ويستطيع أن يبصرهم بما ينبغى مـــن نبذ التراخى والكسل والتقصير فى أداء الأعمـــال لأن الداعيـــة يبصرهـــم بجزاء الفريقين عند الله ، كما جاء فى القرآن والسنة ، ويأخذ بيد المفرطين إلى السير فى الطريق الصحيح ليسلموا ويسلم مجتمعهم ، ويتخلـــص مـــن الأدواء والأرزاء التى تترسب فيه نتيجـــة عـــدم الاكـــتراث واللامبـــالاة والانصراف إلى ملذات النفس وشهواتها ، فالسنة تحض على الفضـــائل ، وتدعو إليها ، مما يقوى أواصر المجتمع ، ويؤدى إلى النهوض بـــه فـــى كل ميادين العمل والخير .

حجية السنة وتوثيقها ترد على الطاعنين في الحديث بغير علم

لقد حظى الحديث النبوى الشريف بعناية فائقة ووضعت القواعد والأصول التى على أساسها يطلب الحديث ويؤخذ مما أحاطه بالوثاقة والدقة فى لفظه ومعناه وإسناده وروايته بمعرفة الصحيح والثابت وحفظه كما ورد ونقل ، فلم يسمح العلماء أن يدخل فيه ما ليس منه وأعدوا الأوعية التى حملته وحافظت عليه أن تشوبه شائبة تكدر صفاءه ونقاءه وصحة ما ورد منه فى الكتب الصحاح .

إن الذى يريد أن يطلب الحديث ويمتلك أدوات الدخول إلى خزائنه لابد أن يتسلح بصفات جليلة تؤهله لذلك .

ـ ألا يدخل إلى حرم حديث رسول الله ﷺ إلا عن طريق التعلم على شيوخ الحديث فى بلده التى يقيم فيها فيقرأ عليهم ويسمع عنهم ، ثم لا يقتصر على ذلك بل عليه أن يسافر إلى بلاد أخرى ليتلقى الحديث عن كبار الشيوخ .

لقد لوحظت دقة متناهية فيما سبق فى جمع الحديث وروايته ؛ فكان العالم منهم يبلغه الحديث عن عمر رضى الله عنه ، فلا يقنعه حتى يخرج إلى عمر فيسمعه منه .

ــ أن يأتي طالب الحديث لا مدعياً العلـــم ولا مســـتحياً ولا متكـــبراً عن التزود منه فقد قال مجاهد رضي الله عنه : " لا يتعلم العلــــم مُسْـــتح ولا متكبر " .

ــ أن يكون معظماً لشيوخ الحديث مجلاً لهم ؛ لأن من خــرج علــى جِلّة الشيوخ ولم يخفض لهم جناحه دخل الشيطان إليـــه فحُـرِمَ الانتفــاع بالعلم .

ــ ألا يقتصر طالب الحديث علـــى ســماع الحديــث وكتابتــه دون معرفته وفهمه فلا يقتصر على مجرد النظـــر دون وعـــى أو فـــهم لأنـــه لا يكون بين رجال الحديث إذا اقتصر على النظر السريع بالكتابة دون فهم .

ــ لابد أن يكون على دراية بعلم الرواية ، والدراية أن يتعلمه ويحيط بقواعده وأصوله .

ــ أن يعنى بالحفظ والفهم لما ورد من الحديث فـــى الصحيحيـــن ــ البخارى ومسلم ــ وسنن أبى داود وسنن النسائى وجامع الترمذى وســـنن ابن ماجة فيضبط مشكلها ويفهم ما خفى من معانيها ، كذلك يكـــون علـــى معرفة بكتاب السنن الكبرى للبيهقى وكتب المسانيد كمسند أحمـــد وكتـــب الجوامع مثل موطأ مالك وكتب علل الحديث ككتاب العلل لأحمد بن حنبـــل وكتاب العلل عن الدارقطنى ، وكتب معرفة الرجال وتواريـــخ المحدثيـــن ومن أفضلها (تاريخ البخارى الكبير) وكتاب (الجرح والتعديل) لابـــن أبى حاتم ، وكتب الضبط لمشكل الأسماء مثل (كتاب الإكمال لأبى نصـــر بن ماكول) .

فيبحث عن علم الأسماء والمشكل ويحفظها فى قلبه ووعيه وفكره .

ـ أن يحفظ طالب الحديث ما يمكنه حفظه .

ـ أن يكون على دراية بالطرق التى صنف عليها الحديث فيما يتعلق بالتصنيف على الأبواب ـ وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيرها ـ وتنويعه أنواعاً وتصنيفه على المسانيد وجمع حديث كل صحابى وحده والترتيب بطرقه المتنوعة على حروف الألفبائية ، أو على القبائل بنى هاشم ثم الأقرب فالأقرب نسباً من رسول الله ﷺ أو على الأسبق فالأسبق بين الصحابة ؛ كالبدء بالعشرة المبشرين بالجنة ثم بأهل بدر ثم بأهل الحديبية ، ثم بمن أسلم وهاجر بين الحديبية وفتح مكة ، ثم بمن هم أقل منزلة من هؤلاء ، ثم بالنساء .

ـ إن الدخول إلى حديث رسول الله ﷺ يقتضى الاحترام والتبجيل والتمكن فى الإحاطة والمعرفة به .

فلا يتكلم فى الحديث إلا من كان من شيوخ الحديث .

فقد كان مالك بن أنس يتوضأ وروى أنه كان يغتسل ويتطيب فسئل عن ذلك فقال :أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث إلا على طهارة متمكناً .

وكان لا يسمح لأحد أن يرفع صوته فى مجلس الحديث عن رسول الله ﷺ وقال : قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى** ﴾ [1] ، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ .

---

(١) الحجرات : ٢ .

ـ وإذا وجد من الشيوخ من هو أعلم منه بالحديث فعليه أن يترك المجال له وألا يحدث فى حضرته ، ويكره أن يحدث وفى البلد من هو أولى منه وإذا كان يعرف أن فى البلد التى هو فيها أو فى غيرها من هو أعلى منه فى الإسناد أو أرجح منه فى أى وجه من الوجوه ، دل الناس عليه ليتلقوا منه ويمسك هو عن الحديث فيما غيره أقوى منه فيه .

ـ أن يكون ممن يستطيعون إملاء الحديث والسماع من أحسن وجوه التحمل وأقواها .

وكما يقول ابن الصلاح : (علم الحديث علم شريف يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وينافر مساوئ الأخلاق ومشاين الشيم وهو مما يثيب الله عز وجل على معرفته ؛ فمن أراد التصدى لإسماع الحديث أو لإفادة شئ من علومه فليقدم صحة النية وإخلاصها وليطهر قلبه من الأغراض الدنيوية وأدناسها) .

ومعنى ذلك أن المشتغلين بعلم الحديث من رواته وعلمائه الأجلاء لم يكن لهم هدف دنيوى ، أو ممالأة سلطان أو حاكم ، إنما كانوا يخلصون النية ويسلمون الوجه لله تعالى .

ولا يصح ما يجرى على الساحة الآن من دخول أصحاب السوء والشر إلى ساحة السنة المطهرة دون أن يكونوا أهلاً للحديث ؛ فإنهم لم يدرسوه على شيوخه ولم يتعلموه من مصادره ولم يطلعوا عليه فاهمين له أو محافظين على متنه أو حافظين حتى لأقل القليل منه . ولا يعرفون شيئاً عن مبادئه وأصوله وأسانيده وعلومه . فكيف يسمح لهم بالنزول إلى ساحته دون تعلم أو إدراك ؟!

وكيف يجرؤ أمثال هؤلاء أن يحكموا على الحديث بـــالقبول أو الـــرد أو التضعيف وليس معهم من هذا العلم شئ لا طلابـــاً ولا مطلوبيـــن ، إذا كان لابد من هذه المعرفة الدقيقة وهى مفقودة لديهم ولم يعدوا أنفسهم لـــها ولم يعرفوا شيئاً عنها بل لا يمكنهم أن يقرأوا فى أحد كتبـــها ومراجعـــها فبماذا يعامل هؤلاء ؟ هل يعاملون على أساس أنهم من أهل العلم ؟ أو على أساس أنهم دخلوا فى مجال ليس لهم فيه سند ولو ادعاء ، ولماذا يـــهرفون بما لا يعرفون ؟ ويتصايحون بغية النيل من هذا البناء الشامخ . هل عندهم شئ من أصول تعلم هذا العلم أو تعليمه حتى يجرؤ بعضهم على المنـــاداة بإلغاء السنة باعتبارها المصدر الثانى من مصادر التشريع أو بتضعيف أحد أمهات كتبها التى لا ترقى إليها أيديهم ولم تقع عليها عيونـــهم إلا لمجـــرد ذكر الأسماء ؟ وليتهم عرفوا أسماءها فقط . إنهم لا يعرفونـــها ويدعـــون المعرفة دون أدنى أو أوضح دليل . فعليهم أن يتركوا المجـــال لأصحابـــه وأهله ، أو نقول : ﴿ ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ (1).

---

(1) الأنعام : ٩١ .

الرد على منكرى السنة النبوية المطهرة

يرى بعض الزاعمين إنكار السنة لاكتفــاءً بــالقرآن ، وردوا الســنة المتواترة منها والآحاد وعبّر عن رأيهم أحد الكــاتبين فقــال : إن العمــدة المعتمدة فى جميع أمور الملة هو القرآن المجيد نحتكم إليه فى كل صغيرة وكبيرة ، وما تناقض فى كتب السيرة مع القــرآن لا نــأخذ بــه وكذلــك ما تناقض فى كتب الحديث مع القرآن ، فالله تعالى حفــظ القــرآن مــن التحريف ، ولم يقل لنا رب العالمين إنه حفظ كتاب البخارى أو غيره مــن كتب السيرة ، وما يقوله البخارى وهو مناقض للقرآن لا يلزمه فى شــئ ، فقد امتلأت ــ فى زعمه ــ كتب الســيرة بــالموضوع والمدســوس مــن الأحاديث والعجيب والمنكر من الإسرائيليات [1] .

وفسروا بعض آيات القرآن الكريم بحسب أهوائهم لتكون دليلاً علـــى زعمهم مثل قوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾ [3] .

---

(1) الأهرام ــ أول مايو ١٩٩٩م .

(2) النحل : ٨٩ .

(3) الأنعام : ٣٨ .

والواقع أن الآيتين لا تنفيان السنة لأن : (أن القرآن تبيان لكل شئ) أنه يوضح أمور الدين صراحة أو ضمناً والضمن يكون بالإحالة على السنة ، والمراد بالكتاب فى الآية الثانية : اللوح المحفوظ لأن قبلها ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم** ﴾ [1] . وما يتعلق بهذه المخلوقات من آجال ورزق وأعمال وغير ذلك كُتب فى اللوح المحفوظ لا فى القرآن وإذا كان المقصود بالكتاب ــ فى الآية ــ القرآن على فهم خاص ، فلم يفرط فيه من شئ إما بنصه أو بما جاء فى السنة على طريق الإحالة عليها .

واستدلوا ــ كذلك ــ بحديث مكذوب هو " وما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله أنا ، وكيف أخالف كتاب الله وبه هدانى ؟ " **فهذا الحديث قال عنه الحافظ** ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله : " قال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا : نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شئ ونعتمد على ذلك . قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله لأنا لم نجد فى كتاب الله أنه لا يقبل من حديث رسول الله ﷺ ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسى له ، والأمر بطاعته ويحذر **من المخالفة عن أمره جملة على كل حال** [2] . وقال صاحب كشف الخفاء إن هذا الحديث موضوع .

---

(1) الأنعام : ٣٨ .

(2) جامع بيان العلم وفضله للحافظ ابن عبد البر ١٩٠/٢ .

والرسول ﷺ يحذر من هؤلاء المشككين فى السنة الذيـــن يخـــادعون الناس بالاكتفاء بالقرآن وحده .

والســـنة النبوية وحى [1] مـــن الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ وهـــى أصل من أصول الدين وركن من أركانه وهى واجبـــة القبـــول لا يجـــوز

---

(١) الوحى يقوم على تبليغ الله تعالى لأنبيائه الشرائع والأحكـــام [illegible] مضـــى سبيل اليقين . ويأخذ الوحى صوراً متعددة جاءت بها الآية الكريمة ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء ﴾ ويشـــمل ذلـــك ما جاء عن طريق تكليم الله تعالى لبعض أنبيائه . كما فى تكليم الله تعالى لموسى ــ عليـــه السلام ــ قال تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ قال سبحانه وتعـــالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ومن ذلك [illegible] عن ربه [illegible] [illegible] جبريل [illegible] على [illegible] أن [illegible] كان الوحى يـــأتى النبى ﷺ مثل صلصلة الجرس . كما فى [illegible] عن عـــروة عـــن عائشة رضى الله عنهما . أو يكون ذلك [illegible]

ومن الوحى القرآن الكريم . وهو وحى [illegible] لم ينزل شئ من القرآن مناماً . أما ما رواه مسلم عن أنس من أنه قال : (بينما [illegible] بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة . ثم رفع رأسه مبتسماً . فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقـــال : نزل على آنفا (سورة الكوثر) فلا يؤخذ منه أن هذه السورة نزلت فى حال النـــوم ، لأن هذه الإغفاءة عبارة عن أثر ما يحصل له حين مجئ الملك إليه بالوحى .

والسنة وحى ــ كذلك ــ لكن الفرق بينها وبين القرآن أن القرآن نزل بلفظه ومعنـــاه ، والسنة نزلت على الرسول ﷺ بمعناها ، ولذا يصح رواية الحديث بالمعنى لمـــن يعـــرف الألفاظ ومعانيها ، واستعمالاتها ، عند جمهور العلماء ، وإذا كان من المجتـــهد أن يجتهد الرسول ﷺ فهذا أيضا داخل فى الوحى ، لأن الاجتهاد بتوفيق [illegible] ، فـــهو لا يكله إلى نفسه ، فلا يتعارض اجتهاده ﷺ مع كون السنة وحى

إنكارها بإجماع الأمة ، ومنكرها كافر يدل على ذلك الآيـــات والأحـــاديث الصحيحة .

يقول تعالى : ﴿ وما آتـــاكم الرســـول فخـــذوه ومـــا نـــهاكم عنـــه فانتهوا ﴾ [1] ، ويقول سبحانه : ﴿ من يُطع الرسول فقـــد أطـــاع الله ﴾ [2] .
ويقول عز حكمه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [3] .
ويقول جل ثناؤه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فـــاتبعوني يحببكـــم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [4] .

ويقول جل شأنه : ﴿ وما كـــان لمؤمـــن ولا مؤمنـــة إذا قضـــى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ [5] .
ويقول سبحانه : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنـــة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [6] .

---

(1) الحشر : ٧ .
(2) النساء : ٨٠ .
(3) الأحزاب : ٢١ .
(4) آل عمران :٣١ .
(5) الأحزاب :٣٦ .
(6) النور : ٦٣ .

ويقول عز من قائل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتـى يحكمـوك فيمـا شجر بينهم ثم لا يجدوا فـي أنفسـهم حرجـاً ممـا قضيـت ويسـلموا تسليماً ﴾ [1] .

ويقول الرسول ﷺ في حديثه المتواتر : (من كـذب علـيّ متعمـداً فليتبوأ مقعده من النار) .

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجة عن المقدام بن معد يكرب أنـه قال : قال رسول الله ﷺ : " ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيـه مـن حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرمـوه ، ألا وإن مـا حـرم رسول الله ﷺ كما حرم الله " .

وفي رواية (يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عنـي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنـا فيـه مـن حـلال اسـتحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. ألا وإن ما حرمه رسول الله ﷺ مثل الذي حرم الله) .

وروى ابن عبد البر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه قـال : " ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ، ولا من فاسق بيّن فسـقه ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوله علـى غير تأويله " .

---

(1) النساء : ٦٥ .

وعن مكحول قال ﷺ : " **آتاني الله القرآن ومن الحكمة مثليه** " [1] .

وعن حسان بن عطية أنه قال : " كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن " .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : **لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله** [2] ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت : " يا أبا عبد الرحمن: بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال لها :وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة :لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ،فقال: لئن كنت قرأته لقد وجدته ، أما قرأت : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [3] . قالت : بلى ، قال :فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ [4] .

---

(١) أخرجه أبو داود في مراسيله .

(٢) الوشم غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه ، واستوشم : طلب الوشم ، والنمص نتف الشعر ، والنامصة هي مزينة النساء بالنمص ، والمتنمصة هي المزينة ، والنمص ــ محركة ــ : رقة الشعر ودقته حتى تراه كالزغب ، فجججت ما بين رجلي :فتحت ، وهو يمشي مفاجا وقد تفاج وأفج وأسرع . القاموس المحيط ١/ ٢٠٩ ، ٣٢٢/٢ .

(٣) الحشر : ٧ .

(٤) الموافقات ٤ / ٢٤ــ٤٨ والكفاية صـ١٢ . وقال الهيثم بن عمران : سمعت إسماعيل بن عبد الله يقول :ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ ، كما نحفظ القرآن ، لأن الله تعالى يقول (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) . الكفاية ص١٢ .

وقال عمران بن حصين لرجل يريد أن يقتصر على القرآن دون السنة : إنك إمرؤ أحمق أتجد فى كتاب الله الظهر أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال : أتجد ذلك فى كتاب الله مفسراً ؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك .

وفى رواية : (أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً ،وصلاة العصر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً تقرأ فى اثنتين ؟ ، أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً ، والسعى بين الصفا والمروة ؟) .

ومعنى هذا أن كل من يتهجم على السنة والسادة الجامعين لها كالبخارى ومسلم وغيرهما ممن حفظوا السنة وعملوا على جمعها ، من يتهجم عليها وعليهم خارج عن الإيمان ، واقع فى الكفر والضلال والخسران ، وكذلك كل من يستهزئ بها بألفاظ بذيئة أو تعبير سخيف سئ فكل هذه الإهانات اللفظية والسلوكية مردودة على أصحابها الضالين .

منزلة السنة من القرآن والتشريع

منزلة السنة من القرآن :

السنة هي المصدر الثاني ــ بعد القرآن الكريم ــ للإسلام باعتبـــاره عقيدة ، وباعتباره تشريعاً وأخلاقاً .

تفسر السنة أموراً :

١ــ تشرح نص الكتاب (القرآن الكريم) فتبين ما ورد به نص الكتاب كما قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [1] .

بسلوكه ، وبقوله ، وبإقراراته ، يقول ﷺ : [ما تركت شـــيئا ممـــا أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئا ممـــا نـــهاكم الله عنـــه إلاّ وقد نهيتكم عنه] .

٢ــ تفسر السنة النصوص المجملة في القـــرآن ، فمـــا أجمـــل فـــي القرآن فسرته السنة . قال تبارك وتعـــالى : ﴿ إن الصـــلاة كـــانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتا ﴾ [2] .

---

(١) النحل : ٤٤ .

(٢) النساء : ١٠٣ .

وقال : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ [2] .

ثم بين الحق سبحانه وتعالى على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواقيتها وسننها وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها ، وكيف يؤدى الحج والعمرة ، ولقد كان رسول الله ﷺ يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، وكان يبين أوقاتها وأركانها ، وعدد ركعاتها وافتتاحها وترتيب حركاتها بعد الافتتاح ، ويقول ﷺ : [صلوا كما رأيتموني أصلي] .

وفرض الله تعالى الزكاة ، ولم يبين مقادير لها ، ولم يذكر بالتفصيل زكاة الزروع والثمار ، والأموال التي تجب فيها الزكاة ، فبين رسول الله ﷺ ذلك كله ، وطبقه .

وبين رسول الله ﷺ مناسك الحج وأركانه وواجباته وسننه ، فيقول : [خذوا عني مناسككم] ، كما بين أركان العمرة ونسكها .

وبينت السنة أن القاتل لا يرث ، وأن الوصية لا تكون في أكثر من الثلث ، وأن الدين يقدم على الوصية . هذا وكثير غيره مما بينته السنة .

يقول الإمام الشافعي : وسنن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان : أحدهما : نص كتاب فاتبعه رسول الله كما أنزل الله .

---

(1) المزمل : ٢٠ .
(2) البقرة : ١٩٦ .

والآخر : جملة بَيَّن رسول الله ﷺ فيها عن الله معنى ما أراده بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عاماً أو خاصاً ، وكيف أراد أن يأتي به العباد ، وكلاهما اتبع فيه كلام الله .

وفي كلمة أخرى بَيَّن الإمام الشافعي الوجهين فيقول :

أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فيبين رسول الله ﷺ مثل ما نص الكتاب .

والآخر : ما أنزل فيه جملة كتاب ، فبين رسول الله معنى ما أراد .

٣ـ تخصيص السنة لعموم محكم القرآن .

قال الله تعالى : **﴿ يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولدٌ فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾** (١) .

وكان ظاهر هذه الآية يدل على أن كل والد يرث ولده ، وكل مولود يرث والده ، حتى جاءت السنة بأن المراد ذلك ، مع اتفاق الدِّين بين الوالدين والمولودين ، وأما إذا اختلف الدينان فإنه مانع من التوارث ، واستقر العمل على ما وردت به السنة فى ذلك ، قال رسول الله ﷺ : **[لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم]** .

---

(١) النساء : ١١ .

وقال الله تعالى فى المرأة يطلقها زوجها : **﴿ فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾** [(١)] ، واحتمل ذلك أن يكون المراد بـــه عقــد النكــاح وحده ، واحتمل أن يكون المراد به العقد والإصابة معاً ، فبينت الســنة أن المراد به الإصابة بعد العقد . حدث عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته أن رفاعة القرظى طلق امرأته ، فبتّ طلاقها فنكحـــت بعــده عبد الرحمن بن الزبير ، فجاءت رسول الله ﷺ ، فقالت : إنها كانت تحت رفاعة فطلقها آخر ثلاث طلقات ، فتزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبـير ، وفهم النبى ﷺ من كلامها أنها تريد أن ترجع إلى رفاعة ، فقـــال لـــها : **[لا ، حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته]** .

وقال تعالى : **﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾** [(٢)] ، فظــاهر هذا القول يوجب القطع على كل سارق بسرقته كثرت أو قلّت حتى دلـــت السنة على أن المراد بعض السُراق ، وهو من بلغت سرقته القيمـــة التـــى توجب القطع وهى ربع دينار فصاعداً ، وأما من لم تبلغ قيمة سرقته هـــذا القدر فلا قطع فيه ، فعن عائشة ــ رضى الله عنها ــ عن النبى ﷺ قال : **[تقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعداً]** .

وكذلك يقول تعالى : **﴿ الذين آمنوا ولم يلبثوا إيمانهم بظلـــم ﴾** [(٣)] ، فهم بعض الصحابة العموم فقالوا : أينا لم يظلم ؟ قال ﷺ : **[ليـــس بـــذاك إنما هو الشرك]** .

---

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) المائدة : ٣٨ .

(٣) الأنعام : ٨٣ .

٤ــ توضيح المشكل : كقوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ (١) ، ظــن بعــض الصحابــة أن المــراد العقال الأبيض والعقال الأسود ، فقال ﷺ : [هما بياض النــهار وســواد الليل] .

وتكون السنة ناسخة لحكم ثبت في القرآن الكريم ــ علــى رأي مــن يجوز نسخ الكتاب بالسنة ــ كحديث [لا وصية لوارث] قيل هذا الحديــث نسخ الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الثابت بقول المولـــى ســبحانه : ﴿ كُتب عليكــم إذا حضــر أحدكــم المــوت إن تــرك خــير الوصيــة للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ (٢) ، على أحد احتمالات تفسير الآية الكريمة ، وكذلك حديث : [البكر بالبكر جلد مئـــة وتغريــب عام] ناسخ لقوله تعالى : ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ﴾ (٣) علــى وجه تفسيرها أيضاً والأمثلة على ذلك كثيرة .

ويقول علماء الحنفية : كل زيادة على الكتاب تعد من النســخ ، وقــد اختلف علماء الأصول في نسخ الكتاب بالسنة على ما هو مقرر في كتــاب الأصوليين .

---

(١) البقرة : ١٨٧ .
(٢) البقرة : ١٨٠ .
(٣) النساء : ١٥ .

منزلة السنة من التشريع :

يشرع رسول الله ﷺ عن الله تعالى فيما لا نص فيه من كتاب الله .

روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وغيرهم أن رسول الله ﷺ بعث معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ إلى اليمن فقال له : [كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟] قال : أقضي بكتاب الله ، قال : [فإن لم يكن في كتاب الله ؟] قال : فبسنة رسول الله ، قال : [فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟] قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: [الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله] .

وسيدنا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ في رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ والتي بدأها بقوله:"سلام عليك. أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة"، يقول عمر في هذه الرسالة: "الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة" .

ونقول:لا بأس أن تستقل السنة بالتشريع ، ويكون بياناً أيضاً لما في القرآن عن طريق الإجمال والتفصيل، أو بطريق الإلحاق والقياس على ما ورد فيه.

فمثلاً :

ــ أحل الله الطيبات وحرّم الخبائث ، وهذان قسمان يمكن إلحاق قسم ثالث بأحد الأمرين على حسب قوة شبهه به فيقاس عليه ، فلقد نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، ونهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، وألحق ﷺ الضب والحبارى والأرنب وأشباهها بأصل الطيبات .

ـــ أحل الله تعالى ما يصطاد الجارح المعلّم إذا أمسك عليك . **ومفهوم** ذلك أن صيد ما ليس بمعلّم حرام ، فإذا أكل المعلّم من الصيد بيّن النبى ﷺ أنه حرام فقال : **[فإن أكل فلا تأكل ، فإنى أخلف أن يكون إنما أمسك على نفسه]** [(١)] .

ـــ أحل الله تعالى صيد البحر ـــ ضمن تحليل الطيبات ـــ وحرم الميتة ـــ فيما حرم من الخبائث ـــ ولم نعلم عن حل ميتة البحر ، فوضحه النبى ﷺ حين قال : **[هو الطهور ماؤه الحل ميتته]** [(٢)] .

ـــ حرم الله تعالى الميتة وأحل المذكاة ، فما حكم الجنين ؟ وضحته السنة لاحتمال إلحاقه بأى منهما ، قال ﷺ : **[ذكاة الجنين ذكاة أمه]** [(٣)] .

ـــ أوضح القرآن الكريم ميراث ما فوق البنتين والواحدة قائلاً : **﴿ فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ﴾** [(٤)] . والبنتان مسكوت عنهما ، فوضحت السنة نصيب البنتين بإلحاقهما بما فوق البنتين ، فبذلك توضح السنة وتبين القرآن الكريم فيما لم ينص عليه .

وقد يُلحق النبى ﷺ شيئاً لم يُصدر القرآن فيه حكماً بشىء أصدر فيه حكماً قياساً عليه لتحقق العلة فيه ، لعموم العلة .

---

(١) أخرجه الشيخان .

(٢) أخرجه أصحاب السنن .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وحسّنه .

(٤) النساء : ١١ .

ــ حرم القرآن الجمع بين الأختين ثم قال : ﴿ **وأحل لكـــم مـــا وراء ذلكم** ﴾ [١] .فنهى النبي ﷺ عن الجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها قياساً للعلة في التحريم ، وجاء في الحديث بهذا المعنى : [**فإنكم إذا فعلتـم ذلك قطعتم أرحامكم**] [٢] .

ــ سئل أبو بكر رضى الله عنه عن ميراث الجدة فقال : ما لك فـــي كتاب الله من شيء ، ولكن أسأل الناس ، فسألهم ، فقام المغيرة بن شـعبة ، ومحمد بن مسلمة فشهدا أن النبيﷺ أعطاها السدس .

ــ ولم يكن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يعلـــم أن المـــرأة ترث من دية زوجها ، حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان أمير رســـول الله ﷺ على بعض البوادي يخبره أن رســـول الله ﷺ (ورَّث امـــرأة أشـــيم الضبابى من دية زوجها) .

ــ لم يكن عمر بن الخطاب ــ رضىَ الله عنه ــ يعلم سنة الاسـتئذان حتى أخبره بها أبو موسى الأشعرى ــ رضى الله عنـــه ــ فبيـــن الله أن الاستئذان ثلاث ، فإذا لم يؤذن له انصرف .

ــ حرم القـــرآن الكريـــم ــ بالرضاعـــة ــ الأمـــهات والأخـــوات ﴿ **وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** ﴾ [٣] ، فجاءت الســـنة بتحريم من يحرم بالنسب : كالعمة ، والخالة ، وبنت الأخ ، وبنت الأخت ،

---

(١)النساء : ٢٤ .

(٢) رواه ابن حبان .

(٣) النساء : ٢٣ .

فقال ﷺ : [إن الله حرم من الرضـــاع مـا حـرم مــن النسـب] [1] .،
وقال فى حديث حسن صحيح . فهذا قياس ينفى الفارق بين الأصل والفرع .

ــ جاءت آيات فى القرآن الكريم تدل على عدة أمور جزئية يستخلص منها معنى عام مثل قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأســفل مــن النار ﴾ [2] . ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ﴾ [3] . ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ [4] .

كل هذا ضمه معنى الإخلاص فى العمل ، وجاء ذلك فى الحديـــث : [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] .

ــ كذلك جملة من الأوامر والنواهى الجزئية يضمها معنى واحد مثل قوله تعالى : ﴿ لا تُضار والــدة بولدهــا ولا مولــود لــه بولــده ﴾ [5] .
﴿ ولا تُضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾ [6] ، ﴿ ولا يُضار كاتب ولا شهيد ﴾ [7]
ضم هذا كله قوله ﷺ : [لا ضرر ولا ضرار] .

---

(1) أخرجه الترمذى .
(2) النساء : ١٤٥ .
(3) النساء : ١٤٢ .
(4) النساء : ١٠٠ .
(5) البقرة : ٢٣٣ .
(6) الطلاق : ٦ .
(7) البقرة : ٢٨٢ .

ـ جاء سد الذرائع في آيات كثيرة كقولـه تعـالى : ﴿ ولا يضربـن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ [1] ، ﴿ ولا تسبوا الذين يدعـون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ﴾ [2] . جاء على ذلك قولـه ﷺ : [من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه] و [دع ما يريبـك إلـى مـا لا يريبك] .

فالسنة بذلك جاءت مبينة وموضحة للقرآن .

والآيات كثيرة على وجوب طاعة الرسول ﷺ ، وأن طاعتـه مـن طاعة الله .

ويمكن أن تأتي السنة بأحكام لم يتعرض لها القـرآن علـى جهـة الاستقلال ، ولا خلاف بين من يرى أن مـا جـاء فـي السـنة يوضـح القرآن ، ومن قال : إن بعض الأحكام قد تأتي استقلالاً ، لأن الثاني يـرى أن تفصيل الأحكام هو سر هذا القول بالاستقلال ،والأول يرى أن الأحكـام جاءت مجملة ففسرتها السنة .

وما ينطبق على الأحكام الشرعية ينطبق على غيرها مـن الأمـور مما ورد مؤكداً ، أو شارحاً أو مستقلاً .

---

(1) النور : ٣١ .

(2) الأنعام : ١٠٨ .

الحديث والسنة

أولاً : الحديث :

فى اللغة ضد القديم ، ومن معانيه : الكلام الـــذى ينقــل ، ويصـــل الإنسان عن طريق السمع ، أو الوحى فى اليقظة أو المنام ، وقد جاء هــذا المعنى فى القرآن الكريم فى مثل قول الحق تبارك وتعالى عن القـــرآن : ﴿ **ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾ [1] . وقال عز حكمه : ﴿ **فليـــأتوا بحديـــث مثله إن كانوا صادقين** ﴾ [2] ، ومن ذلك ما يكون سراً كقوله تعالى : ﴿ **وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً** ﴾ [3] ، ومما جاء مناماً قوله تعـــالى ــ على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ **وعلمتنى من تـــأويل الأحـــاديث** ﴾ [4] .
وعلى ذلك جاء قول الشاعر :

أنــص الحديــث إلـــى أهلـــه
فــإن الأمـــانة فـــى نصّـــه

---

(١) النساء : ٨٧ .
(٢) الطور : ٣٤ .
(٣) التحريم : ٣ .
(٤) يوسف : ١٠١ .

والحديث فى اصطلاح المحدثين :

ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول ، أو فعل ، أوتقرير ،أو صفة من صفاته ﷺ .

ويدخل فيه – عند جمهور المحدثين – ما أضيف إلى النبى ﷺ أو الصحابى أو التابعى ، وعلى هذا يشمل ما أضيف إلى النبى – وهو الحديث المرفوع – وما أضيف إلى الصحابى – وهو الحديث الموقوف – وما وقف به عند التابعى – وهو الحديث المقطوع ، والمراد بأقواله ﷺ ما نقل من كلامه الذى تتضمنه كتب الحديث الصحاح ، كالبخارى ومسلم والنسائى وغيرها ، كأن ننقل عنه ﷺ قوله : [**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**] إلى آخر ما أورده البخارى وغيره فى باب كيف بدأ الوحى إلى غير ذلك ، وهذا يشمل ما جاء مرفوعاً ، أو موقوفاً على الصحابى ، أو مقطوعاً إلى التابعى ، والمراد بفعله ﷺ ما نقل إلينا من صلاته وصيامه وزكاته وحجه ؛ كيف كان يصلى ويصوم ويزكى ويحج وكيف علّم أصحابه ذلك ، كما قال عليه الصلاة والسلام : [**صلوا كما رأيتمونى أصلى**] وكما قال عليه الصلاة والسلام : [**خذوا عنى مناسككم**] وقد ورد أن النبى ﷺ صلى على المنبر تعليماً لأصحابه ، وفى حجة الوداع أوضح طرق الحج والمناسك فيه ، مما يعد ركنا من أركانه وغير ذلك ، كالطواف والسعى والوقوف بعرفة ورمى الجمار والحلق أو التقصير والمبيت بمنى وصلاة المغرب والعشاء بالمزدلفة وهكذا ،

وكيف يكون كل ذلك بوضوح كامل، ويشمل فعله ﷺ كل ما يصدر منـــه من سلوك وعمل يدخل فى نطاق التشريع لأمته .

والمراد بالتقرير ما أقر النبى ﷺ أصحابه عليه من أقوال وأفعـــال ، فإذا صدر كلام من أحد الصحابة ، أو صدر عنه فعل من الأفعـــال ، ورآه النبى ﷺ أو علم به ، فأقره عليه فهو من الحديث النبوى ، ويشمل هذا مـــا أقره النبى ﷺ بالكلام ، بأن استحسنه ، أو ما أقره بالسكوت ، مع ظـــهور علامة الرضا والقبول ، أما ما لم يصحبه رضا أو قبول فلا يعد إقرارا من النبى ﷺ .

ومن الذى أقره الرسول واستحسنه ما يُروى عن أُبىّ بن كعـــب فـــى حديث : أنزل القرآن على سبعة أحرف .

فقد روى أن أُبىّ بن كعب ــ رضى الله عنه ــ قال : دخلت المســجد أصلى ، فدخل رجل ، فافتتح النحل ، فقرأ فخالفنى فى القراءة ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ ، قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، ثم جاء رجل ، فقام يصلـــى ، فقرأ وافتتح النحل ، فخالفنى وخالف صاحبى ، فلما انفتل من صلاته قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله ﷺ قال : فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلـــى النبـــى ﷺ ، فقلت : استقرئ هذين ، فاستقرأ أحدهما وقال : أحسنت ، فدخل قلبى مـــن الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهلية ، ثم اســـتقرأ الآخـــر وقـــال : أحسنت ، فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد مما كنت فى الجاهليـــة ، فضرب رسول الله ﷺ صدرى بيده ، وقال : [أعيذك بالله يا أبـــىّ مـــن

الشك ، ثم قال : إن جبريل عليه السلام أتاني فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت : اللهم خفف عن أمتي ، ثم عاد فقال : إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف] [1] . فهذا ما أقره الرسول واستحسنه من قراءة هؤلاء فيعد داخلاً في حديثه ﷺ .

ومن ذلك الإقرار ما حدث في غزوة الأحزاب حين انتهت بنصر المسلمين ، وقال الرسول ﷺ : **[لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة]** ، وقد كان ما كان من اليهود من محاولة نقض العهد ، وأراد الرسول ـ بأمر ربه ـ أن يلحق بهم سريعاً ، ليقضي الله حكمه فيهم ، وقد أدركت صلاة العصر بعض الصحابة في الطريق فاختلفوا ، فبعضهم تمسك بلفظ الرسول ﷺ ، فلم يُصل حتى ذهب إلى بني قريظة ، وبعضهم فهم من لفظه ﷺ أن المقصود الإسراع وعدم التواني فصلوا حيث أدركهم العصر ، ثم ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فلم يخطئ أيا من الفريقين ، فعُدَّ ذلك إقراراً منه ﷺ بصحة كلا الموقفين ممن صلَّوا ومن لَمْ .

ومما يدخل في ذلك ما كان يقرهم عليه من المضاربة التي كانوا يعتادونها وإقراره في الأعياد على مثل غناء الجاريتين ، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدته وقوله لهم : **[إنه ليس بأرض قومي]** .

---

(١) صحيح مسلم ١٠١/٦ـ١٠٤ ، والنسائي ١٤٩/١، ١٥٠ ، والبخاري ٢١/٢٠/١٩ ، والنشر ٢٠/١ .

والمراد بصفاته ﷺ : ما يشمل صفاته الخلقية مما يتصل بالجانب الجسمي أو النفسي ، ويعد من صفاته الجسمية ما وصفه به على بن أبي طالب – كرم الله وجهه – من أنه ﷺ " لم يكن بالطويل ولا بالقصير ، شثن الكفين والقدم ، ضخم الرأس، ضخم الكراديس ، طويل المسربة [1] ، إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب " ، وقالت فى وصفه أم معبد الخزاعية واصفة النبى ﷺ لزوجها : " رجل ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع ، وفى لحيته كثافة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، وأحسنهم ، وأحلاهم من قريب ، حلو المنطق . فصل لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا يائس من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر يتبادرون إلى أمره ، محفود محشود لا عابس ولا مفند " [2] .

ووصفه على – كرم الله وجهه – بأنه: كان سهل الخلق ، دائم البشر ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب " .

---

(1) الكراديس : جمع كردوس بوزن عصفور ، وهورأس العظم ، والمسربة بوزن مكرمة : الشعر الدقيق كأنه قضيب من الصدر إلى السرة ، كما نقل الأصمعي . انظر السيرة النبوية للذهبى ، ص٣٠١ .

(2) السيرة النبوية للذهبى ، ص٣٠٨ .

ومن ذلك ما روى عن عائشة – رضى الله عنها – : " ما خير الرسول بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما " (١) .

ويدخل فى ذلك ما روى فى الكتب التى فيها أخباره ﷺ من كتب الحديث والسيرة والمغازى والتفسير ، مما كان بعد النبوة أو قبلها ، مثل حسن سيرته كقول خديجة – رضى الله عنها – له : والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق " ، ومثل المعرفة ، فإنه كان أمياً ، لا يقرأ ولا يكتب ، وصدقه وأمانته ، وأمثال ذلك مما يستدل به على أحواله التى تفيد المعرفة بنبوته وصدقه ، ولهذا يذكر مثل ذلك من كتب سيرته .

ثانياً : السنة :

فى اللغة : السيرة والطريقة ، كما قال الشاعر :

ولكل قوم سنة وإمامها

وقال الهذلى :

فلا تجزعنْ من سيرة أنتَ سرتَها

فأول راضٍ سنةً من يسيرُها (٢) .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) لسان العرب (سن) .

وقال تعالى : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعال أيضاً : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (٢) ، وفي الحديث [من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة] (٣) ، والمراد أنه عملها حتى يقتدى به غيره .

والسنة فى اصطلاح العلماء : يختلف مفهومها بين المحدثين (٤) والأصوليين (٥) . والفقهاء (٦) .

فالسنة ـ عند المحدثين ـ مرادفة للحديث بمفهومه السابق ، أو هى : ما استنه النبى ﷺ من طريقة مشروعة لأمته ، بقوله أو فعله أو تقريره ، أو ما أمر به النبى ﷺ ، أو نهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً وتقريراً .

---

(١) الإسراء : ٧٧ .

(٢) آل عمران : ١٣٧ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) هم معنيون بنقل المسموع من رسول الله ﷺ .

(٥) هم معنيون بأدلة الأحكام الشرعية .

(٦) هم معنيون بالبحث فى الأحكام الشرعية ، فرضها وواجبها ومندوبها ، والحرام والمكروه إلى غير ذلك .

والسنة ــ عند الأصوليين ــ " علماء أصول الفقه " : ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير [1] .

وهذا هو مناط التشريع .

ويختلف التعريف ــ هنا ــ عنه عند المحدثين ، إذ لا يدخل فى السنة عند الأصوليين صفاته ﷺ (الخلْقية والخُلقية) .

أما السنة عند الفقهاء فهى : ما يثاب على فعله ، ولا يعاقب على تركه مما فعله النبى ﷺ ، وواظب عليه ، مما ليس بفرض ولا واجب .

ومن هنا نفهم غرض المحدثين من السنة ، وهو معرفة ما كان عليه النبى ﷺ فى أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته ، وإيصاله إلى الناس ليقتدوا به ﷺ ، فهو المبين عن الله عز وجل ، وما قيل عن رسول الله فعن الله قيل كما يقول الإمام الشافعى .

أما الأصوليون فيهمهم بيان مصادر التشريع ، والصفات الخلقية لا علاقة لها بذلك .

أما الفقهاء فنظروا إلى السنة من جهة دلالتها على حكم شرعى ، وهم يبحثون فى أحكام الشرع على أفعال العباد من حيث الإباحة والتحريم ، أو الوجوب ، أو الندب ، أو الكراهة ، إلى غير ذلك .

---

(١) وعند بعض الأصوليين تشمل السنة ما عمل به صحابة رسول الله ﷺ مما جاء فى القرآن ، أو نقل عن النبى ﷺ ، وما لم ينقل عنه ،كجمع المصحف ،وتدوين الدواوين ، أخذاً من قول الرسول ﷺ : [**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى**] رواه مسلم .

وينبغى النظر إلى ما ورد منقولاً عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، ومقارنة ذلك بما نقل عن رسول الله ﷺ مما طبق تطبيقاً عملياً من مبادئ الشريعة وأحكامها ، فإذا تطابق قوله ﷺ (الحديث اللفظى) مع السنة العملية (الواقع العملى الذى جرى عليه فعل الرسول وأصحابه) فهذا لا غبار عليه . أما إذا جاء الحديث اللفظى مخالفاً لواقع السنة المعمول بها على عهد النبى ﷺ وأصحابه فهذا التعارض يمكن حسمه بالرجوع إلى القرائن التى ترجح الأخذ ، فينظر تاريخ قوله ﷺ ، وتاريخ العمل المخالف ـ إذا ثبت كل منهما ـ فما وقع أولاً ينسخه المتأخر عنه (قولاً أو عملاً) ، وإذا لم يعلم المتقدم من المتأخر تتخذ وسائل أخرى للترجيح ، كالنظر فى الثابت الصحيح منهما ، فإذا كان كل منهما صحيح الثبوت فيوفق بينهما ، أو يؤخذ بأحدهما على حسب القرائن المؤيدة ، وقد كان الإمام مالك ـ رحمه الله ـ يقيم وزناً كبيراً لعمل أهل المدينة ، باعتبارهم مؤتمنين على التطبيق العملى للسنة والشريعة .

وكل ما قاله ﷺ بعد النبوة فهو تشريع ، ويدخل فى ذلك ما دل عليه من المنافع فى الطب ، فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء ، والانتفاع به فهو شرع لإباحته ، وقد يكون شرعاً لاستحبابه .

وما أحله الله تعالى لنبيه فهو حلال لنا ، ما لم يكن خاصاً به ، فقد تزوج الرسول ﷺ زينب بنت جحش بعد أن قضى زيد بن حارثة وطره منها ، ويعد هذا إباحة لزواج نساء المتبنين ، ورفع الحرج فى ذلك ، بخلاف أزواج البنين الحقيقيين فلا يجوز للآباء التزوج بزوجاتهم ، بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ، وقد أنزل الله تعالى قرآناً فى ذلك

ليبين أنه أمر عام ، وسنة للمؤمنين :﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا** ﴾ (١) .

أما إذا كان ذلك أمراً خاصاً بالنبى ﷺ فتبقى لـه الخصوصية ، ولا يصبح عاماً ، مثل حل الموهوبة للنبى ﷺ خاصة ، فالزواج لابد فيه من المهر الذى يدفعه الرجل للمرأة حال زواجه منها ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن** ﴾ (٢) ، فهو أجر على البضع عاجلاً أو آجلاً ، وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم ، وقد وهبت بعض النساء أنفسها للنبى ﷺ ونزل فيها قول الله تعالى :﴿ **وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين** ﴾ (٣) ، فليس الحكم عاماً حينئذ بالإباحة ، بل خاص به ﷺ (٤) .

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

(٢) الأحزاب : ٥٠ .

(٣) الأحزاب : ٥٠ .

(٤) قيل : الموهوبات أربع ، ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية ، وأم شريك بنت جابر ، وخولة بنت حكيم ـ رضى الله عنهن ـ ، وقيل لم نسمع النبى ﷺ قبل واحدة منهن على سبيل الهبة . روح المعانى للألوسى . المجلد الثانى عشر . سورة الأحزاب .

وقد أختلف العلماء فى وقع النكاح بلفظ الهبة ، فأجـازه أبـو حنيفـة ومنعه الشافعى للاختصاص .

ولا يدخل فى السنة ما ليس بشرع مما هو متعلق بآراء خاصة له ﷺ كمسألة تأبير النخل ؛ فهو ﷺ لما رآهم يلقحون النخل قال لهم : **[مـا أرى هذا ؟]** " ، يعنى شيئاً ، ثم قال لهم : **[إنما ظننت ظنـاً فـلا تؤاخذونـى بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله فلن أكذب على الله]** ، وقـال : **[أنتـم أعلم بشئون دنياكم فما كان من أمر دينكم فإلى]** .

وهو ﷺ لم ينههم عن التلقيح ، لكن هم غلطوا فى ظنهم أنه نهاهم .

* * *

الحديث القدسي [1]

هو الذي يرويه النبي ﷺ على أنه من كلام الله تعالى ، ويرد بصيغتين : **إحداهما** ــ وهى الأشهر ــ : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، **وثانيتهما** : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى .

والعبارة الأولى هى عبارة كثير من السلف كالإمام النووى ــ رحمه الله ــ [2] .

والمعنى فى الحديث القدسى من عند الله عز وجل ينزل عليه بطريق الوحى واللفظ للرسول ، وقيل : الحديث القدسى من كلام الله تعالى بلفظه ومعناه ، فالنبى ﷺ يحكيه فقط ، ويبنون ذلك على تسمية هذه الأحاديث أحاديث قدسية أو إلهية أو ربانية ، إذ لو كان اللفظ للرسول ما أطلق عليها ذلك ، وكذلك لو لم تكن الألفاظ من عند الله لم تفترق عن الأحاديث النبوية فى شيء ، لأن المعنى فى الحديث النبوى موحى به عن الله أيضاً ، فكيف أضيف الحديث القدسى إلى الله حينئذ دون الحديث النبوى بأن يقال : قال

---

(١) يسمى هذا النوع من الأحاديث ــ أيضاً ــ (الأحاديث الإلهية) أو (الأحاديث الربانية) ، والقدسى : نسبة إلى القدس ، بمعنى : التنزيه لله سبحانه تعالى ، والتكريم والإجلال ، أو التطهير والتبريك ، كما قال الله تعالى : **﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾** ومنه الحديث : **[لا قدست أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها]** أى : لا طهرت .

(٢) انظر : قواعد التحديث للقاسمى ، ص٦٥.

الله تعالى ، أو قال النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، ويرجحـــون ذلك أيضاً بأن الكلام فى الحديث القدسى مضاف إلى الله تعـــالى بضمـــير المتكلم كأن يقول : **[يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى]** .. إلخ .

ولكن أصحاب المذهب الأول يرون أن المعنى من عند الله ، واللفـظ للرسول ، ومن هؤلاء أبو البقاء فى الكليات ، فهو يقـــول : " إن القـــرآن لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، والحديث القدسى لفظه مـــن عنـــد الرسول ﷺ ، ومعناه من عند الله إلهاماً أو مناماً ، ويقول الطيبـــــى الـــذى اختار هذا الرأى : (القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبـــى ﷺ ، والحديث القدسى إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام ، فأخبر النبى ﷺ أمتـــه بعبارة نفسه،وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله تعالى ولـــم يروهـــا عنـــه تعالى) .

ويرى أصحاب هذا الرأى أن نسبة هذا النوع القدسى من الأحـــاديث إلى الله تعالى للاهتمام بها والعناية بما تضمنته من الأمور والمعانى .

ومن أمثلة الحديث القدسى ما أخرجه البخـــارى ومســـلم فيمـــا رواه أبو ذر الغفارى ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ فيما يرويـــه عـــن الله عز وجل أنه قال : **[يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفســـى ، وجعلتـــه بينكم محرماً ، فلا تظالموا ، يا عبادى : كلكم ضـــال إلا مـــن هديتـــه ، فاستهدونى أهدكم ، يا عبادى : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاســتطعمونى أطعمكم ، يا عبادى : كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكســـونى أكســـكم ، يا عبادى : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفـــر الذنـــوب جميعـــاً ، فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى : إنكم لم تبلغوا ضـــرى فتضرونـــى ،**

ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ، يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، ياعبادى : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه] .

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : [يقول الله تعالى : **أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى . فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه] .**

وقد يتداخل الحديث النبوى بالحديث القدسى ، مثل : أخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : [illegible] رسول الله ﷺ : [**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها** [illegible] **سبعمائة ضعف** ، قال الله تعالى [illegible] **فإنه لى وأنا أجزى** [illegible] **يدع شهوته وطعامه من أجلى** ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره [illegible] **فرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح** [illegible]]

الفرق بين الحديث القدسى وبين القرآن :

أ ــ القرآن :

١ــ القرآن موحى به بلفظه ومعناه ، وهو معجز متحدى به إلى قيام الساعة ، ولا تجوز روايته بالمعنى ، ولا تبديل كلمة بكلمة أو حرف بحرف .

٢ــ القرآن متعبد بتلاوته ، يقول تعالى : **﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾** (١) .

٣ــ الجملة من القرآن تسمى آية أو سورة .

٤ــ جاحد القرآن كافر ، لأنه متواتر قطعى الثبوت ، وهو أصل شريعة الإسلام .

٥ــ لا يجوز مسه للمحدث ولا تجوز قراءته للجُنب .

ب ــ الحديث القدسى :

١ــ الحديث القدسى موحى بمعناه ، وقد يُروىَ مضافاً إلى الله تعالى نسبة إنشاء ، كأن يقال : (يقول الله تعالى) . أو نسبة إخبار كأن يقال : (فيما يرويه الرسول عن ربه) ، وليس فيه إعجاز .

٢ــ الحديث القدسى ظنى الثبوت ، لأنه منقول من طريق الآحاد ، ويصدق عليه ما يصدق على أحاديث الرسول ﷺ من حيث الصحة والضعف ، ويخضع لسلامة النقل عن رسول الله وصحة السند .

---

(١) المزمل : ٢٠ .

٣ــ تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين .

٤ــ لا يجزئ فى الصلاة .

٥ــ يجوز مسه وتلاوته لمن لا يجوز لهم ذلك فى القرآن الكريم .

٦ــ تحمل هذه الأحاديث القدسية نوعاً من الموعظة التى تدل علـــى عظمة الخالق ، وسعة رحمته بعباده ، إلى جانب بعض الأحكام التكليفية .

وقد ألفت كتب فى جمع هذه الأحاديث مثل كتاب المحدّث المنـــاوى (١٠٣١ هـــ) المسمى (الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية) مرتبة على حروف المعجم ، ولم يذكر سندها ، وقد جمع فيه اثنين وســبعين ومـــائتى حديث .

من مصطلحات الحديث النبوي

الخبر والأثر

الخبر لغة : النبأ ، وجمعه أخبار ، وأخبره : نبأه ، واستخبره : سأله عن الخبر .

والأثر : الخبر ، وجمعه آثار ، وآثار الشيء : معالمه التي تدل عليه ، ومنه قوله عز وجل : **﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾** (١) .

وقد اشتهر عند المحدثين الترادف بين الأثر والخبر والحديث ، وأنها بمعنى واحد ، فتشمل المرفوع والموقوف والمقطوع ، وعليه سمى أبو جعفر الطحاوي كتابه (شرح معاني الآثار) و (مشكل الآثار) ليشمل كل أنواع الحديث .

ولكن بعض علماء الحديث يقولون : إن الخبر والأثر عامَّان ، والحديث خاص ، فكل حديث يسمى خبراً أو أثراً ، وليس كل خبر

---

(١) يس : ١٢ .

أو أثر يسمى حديثاً [١] . وبعضهم يرى أن الحديث خاص بما جــاء عــن النبي ﷺ ، والخبر خاص بما جاء عن غيره ، ويقال لمن يشتغل بــالحديث (محدّث) ومن يشتغل بالأخبار (إخباري) .

وبعضهم ــ كابن الصلاح وابن كثير والنووي ــ يخص (الأثـــر) بالموقوف و (الخبر) بالمرفوع [٢] .

---

(١) تدريب الراوي على تقريب النووي للسيوطي ، ص٦ .

(٢) نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ص٣ .

الحديث المرفوع والموقوف والمقطوع

الحديث المرفوع :

كل قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو وصف خلقى ، أو خلقى أضيف إلى النبى ﷺ ، سواء أضافه إليه صحابى أو تابعى أو من بعدهما من القرون المتأخرة ، سواء اتصل الإسناد أم لا .

والمراد ما أخبر فيه الصحابى عن قول الرسول ﷺ أو فعله .. إلخ ، كأن يخبر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ، أو قال ، أو كان يفعل كذا ، أو أمرنا بكذا ، أو جرت السنة بكذا ، أو كنا نفعل كذا على عهد رسول الله ﷺ . إلخ .

وأمثلة المرفوع كثيرة ، ففى الصيغة الأولى (سمع) يروى البخارى عن سفيان بن زهتير الشنائى ــ رضى الله عنه ــ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : **[من اقتنى كلباً لا يغنى عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص من عمله كل يوم قيراط] .**

الحديث الموقوف :

ما يروى عن الصحابة ، من أقوالهم وأفعالهم ، ونحوهما ، فيوقف عليهم ، ولا يتجاوز به إلى رسول الله ﷺ .

وهذا النوع إذا كان القول أو الفعل المنسوب إلى الصحابي لا مجال فيه للاجتهاد ، وأن مثله لا يقال من قبل الرأى ، فهو موقوف لفظاً ، مرفوع حكماً ، وهو حجة ، كقول ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : (من أتى ساحراً أو كاهناً ـ وفى رواية : أو عرافاً ـ فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) .

وإن كان الحديث الموقوف مما يحتمل أنه صدر عن الصحابي على سبيل الرأى والاجتهاد فهناك خلاف : هل يعتد به حجة أو لا ؟ .

يرى مالك وبعض الأحناف حجيته مطلقاً ، وفى الجديد عن الشافعي وعن أحمد ، وعامة المتكلمين ما يدل على أنه ليس بحجة ، فإن كانت معه قرينة تدل على رفعه فهو حجة بلا خوف .

الحديث المقطوع :

ما أضيف إلى التابعي ، فمن بعده قولاً له أو فعلاً أو تقريراً ، سواء كان متصلاً أو منقطعاً وخلا عن قرينة تدل على رفعه أو وقفه .

يرى المحدثون أنه حجة ، إذا لم يكن للرأى فيه مجال ، ولا للاجتهاد فيه مدخل .

واختلف فيه الفقهاء ، وأبو حنيفة يرى أن التابعين رجال كأى رجال .

ومن أمثلة الحديث المقطوع : قال سفيان الثـــورى : (لا يســـتحلف بالمصحف ، من أدى شيئاً قُبل منه ، وهم مؤتمنون علــــى زكاتـــهم كمـــا يؤتمنون على صلاتهم) .

وقيل : المقطوع أو المنقطع يستعمل غالباً فى رواية من دون التابعى عن الصحابى مثل سفيان الثورى عن جابر بن عبـــــد الله أو شـــعبة بـــن الحجاج عن أنس بن مالك .

الحديث المقبول :

هو المتصل السند برسول الله ﷺ فى المرفوع أو بالصحابى .

وأعلى درجاته الصحيح .

وهو الذى توافرت فيه شروط ستة :

١ــ اتصال السند برسول الله ﷺ فى المرفـــوع ، أو بالصحـــابى ، بأن يكون كل راوٍ ، أو كل رجل من رجال الإسناد قد روى عمـــن قبلـــه وهكذا حتى يصل إلى رسول الله ﷺ .

٢ــ عدالة الرواة: والمراد بالعدالة أن يكون الراوى موثوقاً به فى دينه.

٣ــ الضبط التام : والمراد ضبط الراوى بأن يكون موثوقاً به فـــــى روايته ، حافظاً متيقظاً لما يرويه ، فإن قصر ضبط الراوى عن التمام كان الحديث حسناً لذاته ، ويقبل ويحتج به لكنه أقل مرتبة من الصحيـــح ، وإن كان الراوى ضعيف الضبط لكن أيد بمثله أو أقوى منــــه كـــان الحديـــث حسناً لغيره .

٤ــ عدم الشذوذ : والشذوذ مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه وأرجح من الرواة الآخرين .

٥ــ عدم العلة القادحة : فما فيه علة قادحة ظاهرة ، بأن يروى عن راوٍ عرف لدى الناس بأنه لم يجتمع معه ، ولم يسمع منه شيئاً ، وهذه علة ظاهرة ، وهناك علة خفية بأن يروى عن إنسان عاصره بكلمة (عن) ولم يسمع منه شيئاً .

٦ــ مجئ الحديث من وجه آخر عند الاحتياج إلى ذلك بتعدد طرقه .

الصحيح على شرط الشيخين :

أن يكون الرجال متصفين بالصفات التى يتصف بها رجال البخارى ومسلم من : الضبط والعدالة وعدم الشذوذ والنكارة والغفلة ، أو ما رواه الثقة المشهود له بذلك .

أنواع الحديث الصحيح :

١ــ الصحيح لذاته : ما سلم من الطعن على إسناده ومتنه ، وهو المتصل السند بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ ولا يكون شاذاً ولا مُعلاً كما قال ابن الصلاح .

مثال الصحيح الصالح الحجة قوله ﷺ : **[من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة] .**

٢ـ الصحيح لغيره : هو الحديث الذى اتصل سنده بنقل عدل ضابط ضبطاً غير تام عن عدل ضابط إلى منتهى السند من غير شذوذ ولا علة قادحة ، وتوبع بطريق آخر مساو أو أرجح أو بأكثر من طريق إن كان أوفى ؛ لأنه لما لم يبلغ درجة الصحة بنفسه احتاج إلى ما يقويه .

ومثال الحديث الصحيح لغيره : عن معاوية بن إسحاق بن طلحة ، عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة رضى الله عنها ــ أنها سألت الرسول ﷺ عن الجهاد ، فقال : **[جهادكن الحج والعمرة]** فمعاوية بن إسحاق ربما وهم ، وقوى الحديث بروايته بطرق أخرى .

٣ـ الصحيح الغريب : هو الذى ينفرد به بعض الرواة سواء انفرد بالحديث كله أو بشىء منه ، أو فى سنده كما قال ابن الصلاح .

وبعض الأحاديث يسمى غريباً متناً وإسناداً ، كما لو انفرد بمتنه راو واحد ، وغريباً إسناداً لا متناً كحديث روى متنه جماعة من الصحابة لكن انفرد واحد بروايته عن صحابى آخر ، وفيه يقول الترمذى غريب من هذا الوجه .

أنواع الخبر :

الحديث المتواتر :

هو الحديث الذى رواه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، أى جمع من التابعين عن جمع من الصحابة ،كما رواه عن التابعين جمع من تابعى التابعين ،وهكذا إلى نهاية السند ،ولا يشترط عدد معين عند الجمهور .

وهذا الحديث إذا استوفى شروطه يفيد العلم اليقيني الضروري ولا يمكن رده ، ويجب العمل به ويحتج به في إثبات العقائد والأحكام الشرعية .

• ومنه متواتر اللفظ عن رسول الله ﷺ كحديث : [**من تعمد علىّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار**] ، ومنه متواتر المعنى كأحاديث رفع اليدين في الدعاء ، فقد تواترت الأحاديث في هذا المعنى ، وورد نحو مائة حديث فيه .

خبر الآحاد :

يطلق على غير المتواتر مصطلح أحاديث الآحاد .

وخبر الآحاد : ما ليس بمتواتر بأن رواه عدد لا يبلغ في الكثرة حد التواتر .

وحكمه أنه لا يوجب العلم اليقيني وإنما هو ظني الثبوت ، وبعضهم يجعله يوجب العلم والعمل ، ويفيد القطع والظن ، لأن الحديث الصحيح يكون قطعي الثبوت وإن كان خبر آحاد ، فإذا كان خبر الآحاد صحيحاً أو حسناً فهو حجة ، وأقسام خبر الآحاد كثيرة عند الجمهور ، أهمها :

١ــ الغريب : الذي تفرد بروايته راوٍ واحد ، ولو في طبقة واحدة من طبقات إسناده ، سواء كان التفرد بالحديث كله إسناداً ومتناً ، أو كان التفرد بزيادة في المتن أو الإسناد ، ومثال الأول تفرد عمر بن الخطاب بحديث [**إنما الأعمال بالنيات**] ، والحديث الغريب قد يكون صحيحاً وقد يكون حسناً وقد يكون ضعيفاً على حسب حال الراوي المنفرد به .

وسمى الغريب غريباً لانفراد راويه عن غيره ، كالغريب الذى شأنه الانفراد عن وطنه .

٢ـ العزيز : الذى تفرد بروايته راويان ، **ولو فى طبقة واحدة ، بحيث لا يقل عدد الرواة فى كل طبقة من طبقات إسناده عن اثنين اثنين وربما يزيد ، ومن صوره حديث رواه صحابيان ، ورواه عن أحدهما تابعيان ويروى عن التابعين اثنان أو أكثر من تابعى التابعين .**

فإن كان الرواة أكثر من اثنين فى جميع الطبقات فيسمى مشهوراً ، وقد يسمى متواتراً بحسب كثرة الرواة ، وإن كان الرواة أقل من اثنين فى جميع الطبقات فما رواه واحد فى كل طبقاته ، أو فى بعضها ولو فى طبقة واحدة ، فإنه لا يسمى عزيزاً بل يسمى غريباً .

ومثال العزيز [**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**] .

٣ـ المشهور : هو الذى رواه فى كل طبقة من طبقات إسناده ثلاثة رواة وألا يقل عدد الرواة فى كل طبقة عن ثلاثة ، ولم يبلغ حد التواتر ، وقد يكون حسناً أو ضعيفاً ، ومن المشهور الصحيح أيضاً ومثاله ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ [**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء**] .. إلخ .

ومن المشهور نوع اشتهر على ألسنة الناس دون قيد أو شرط مما له من سند أو أكثر أو لا إسناد له ولا أصل ، وقد يكون من المتواتر أو الحسن أو الضعيف ، بل قد يكون من الموضوع أو المتروك .

وإلى جانب ما هو مشهور عند المحدثين توجد أصناف أخرى من المشهور عند الفقهاء ، مثل حديث : [**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**] ، ومن المشهور عند الأصوليين : [**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**] ، ومن المشهور بين الأدباء : [**أدبنى ربى فأحسن تأديبى**] ، قال ابن تيمية : لا يعرف له إسناد ثابت ، وقال فى اللآلئ : معناه صحيح لكن لم يأت من طريق صحيح .

ومن المشهور على ألسنة النحاة واللغويين : [**أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش**] ، قال فى اللآلئ : معناه صحيح ، ولكن لا أصل له ، كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ وأورده أصحاب الغريب ، ولا يعرف له إسناد ، ومن المشهور بين العوام [**السفر قطعة من العذاب**] و [**الحرب خدعة**] و [**ما وسعنى أرضى ولا سمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن**] قال بعض الحفاظ هذا مذكور فى الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ .

وقد ألفت فى المشهور كتب تبين الصحيح من غيره مثل كتاب (كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لـ (إسماعيل بن محمد العجلونى) (ت ١١٦٢ هـ) .

٤ـ المستفيض : ما رواه أكثر من ثلاثة فى كل طبقة ، وقد يطلق بمعنى (المشهور) .

مثل حديث : [**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**] وحديث : [**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**] .

٥ـ الجيد : قيل هو الحديث الصحيح .

وجودة الحديث عندهم صحة الرجال ، وقيل إن الجيد أنـــزل رتبـــة من الصحيح .

وغير الجيد هو الردىء .

وقلة ضبط الراوى للحديث تجعله من الحسن لذاته أو لغيره .

ومثال الحديث الجيد : عن أسامة بن زيد ـــ رضــــى الله عنــهما ـــ قال : قال رسول الله ﷺ : **[من صُنع إليه معروف فقال لفاعله : جــزاك الله خيرًا فقد أبلغ فى الثناء]** ، قال أبو عيسى : هو حديث حســـن جيــد غريب (١) .

ومثله حديث رواه أحمد وغيره من طريق سليمان بن بـــلال ، عـــن عمرو بن أبى عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ـــ رضى الله عنـــهما ـــ عن غسل يوم الجمعة ، ففيه عمرو بن أبى عمرو وهو مولى المطلـــب بن عبد الله بن حنطب ، وهو وإن كان من رجال الشيخين ينزل عن رتبـــة الصحيح ، فإسناده جيد .

٦ـ **المرسل** : هو أن يضيف التابعى إلى الرسول ﷺ حديثًا ، ولــم يكن التابعى قد لقى الرسول ﷺ .

فهو : ما سقط من إسناده الصحابى ممـــا رواه الصحـــابى أو روى عن رجل لم تثبت معاصرته له (إرسال ظاهر) .

أو يروى عن رجل لم يسمع فى الواقع عنه (إرسال خفى) .

---

(١) سنن الترمذى ـــ كتاب البر والصلة .

ومن المرسل الحديث الضعيف لفقده شرطًا من شروط الصحة (اتصال السند) .

وما أرسل الصحابة كالأحاديث المتصلة السند كقول عائشة : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة) فهي لم تدركه في ذلك .

وإرسال التابعين يحتج به بعض الفقهاء كقوله ﷺ : **[خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم]** (1) .

فلم يذكر الصحابي لنسيانه أو لكثرة الصحابة الرواة للحديث .

ولم يأخذ به بعض العلماء لحذف اسم الصحابي أو الجهل به ، فيعد ضعيفًا ، واحتج الشافعي بالأحاديث التي أرسلها كبار التابعين ، أو اعتضدت بقول صحابي أو أكثر ، وهم من كثرت روايتهم عن الصحابة كسعيد بن المسيب .

٧ـ الحسن : قسمان :

الحسن لذاته : هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط نقلاً غير تام عن العدل الضابط ضبطًا غير تام ، من مبدأ السند إلى منتهاه ، من غير شذوذ ولا علة قادحة ، ولا يروى من وجه آخر .

وبهذا القيد الأخير يغاير الصحيح لغيره الذي لابد أن يروى عن طريق آخر .

فهو حسن لذاته لأن رواته معروفون بالصدق ، وفي ضبطهم قصور عن ضبط رواة الصحيح .

---

(1) رواه البخاري .

ومثال الحسن لذاته ما روى عن يحيى بن سعيد ، حدثنا بهز ، حدثنى أبى عن جدى ﷺ قال : قلت يا رسول الله من أبرُّ ؟ قال : [**أُمَّك**] ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : [**ثم أُمَّك**] ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : [**أُمَّك**] ، قال : قلت : ثم من ؟ قال : [**ثم أباك ، ثم الأقربَ فالأقربَ**] .

ففيه بهز بن حكيم صدوق وثَّقه بعض العلماء ، وتكلم فيه بعضهم بما يفيد أنه خفيف الضبط ، وعلى هذا ينزل الحديث عن رتبة الصحيح إلى الحسن لذاته .

الحسن لغيره : أن يكون فى الإسناد مستور لم تتحقق أهليته ، غير مغفل ، ولا كثير الخطأ فى روايته ، ولا متهم بتعمد الكذب فيها ، ولا ينسب إلى فسق ، واعتضد بمتابع أو شاهد .

فالحسن لغيره فقد بعض شروط الصحيح من الضبط والإتقان ، ويمكن أن ينجبر ذلك برواية من وجه آخر ، أو وجوه متعددة .

ومثاله حديث أنس مرفوعًا :[**الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة**] (1) .

فى سنده زيد العمّى ، ضعَّفه ابن المدينى ، والنسائى ،وقال ابن حجر : ضعيف إلا أنه لم يتهم بالكذب .

وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ [**حقٌ على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة ، وليمسّ أحدهم من طيب أهله ، فإن لم يجد فالماء له طيب**] .

---

(1) الترمذى .

ففى الحديث إسماعيل بن التيمى ذاهب الحديث .

٧ــ الحديث الضعيف : هو الذى لم تتوافر فيـــه شـــروط الصحـــة (القبول) أو شروط الحسن .

فما لم تتوافر فيه شروط الصحة كما يلى :

أ ــ فقد اتصال السند إلى رسول الله ﷺ ، ويشمل (الحديث المرسل ــ المنقطع [١] ــ المدلس [٢])

ب ــ فقد شرط عدالة الراوى ، ويترتب علـــى ذلـــك أنـــواع مـــن الضعيف (الموضوع ــ المتروك [٣] ــ المنكر [٤]) ــ الضعيف بســبب عدم تحقق المروءة ــ الضعيف بسبب كون راويه مبتدعًـــا ــ المجــهول والمبهم حيث لم يعرف كل منهما ، ولم تثبت العدالة لهما .

---

(١) المنقطع : مثل المرسل ، إلا أن هذه العبارة تستعمل غالبًا فى رواية من دون التـابعى عن الصحابى،مثل سفيان الثورى عن جابر بن عبد الله ، وقال بعض أهل العلم بالحديث : الحديث المنقطع ما روى عن التابعى ، ومن دونه موقوفًا عليه من قوله أو فعله .

(٢) التدليس : رواية المحدث عمن عاصره ، ولم يلقه ، فيتوهم أنه سمع منه ، أو روايتـــه عمن قد لقيه ما لم يسمعه منه ، هذا هو التدليس فى الإسناد ، وأما التدليس فـــى الشـــيوخ فمثل أن يغير اسم شيخه ، لعلمه بأن الناس يرغبون عن الرواية عنـــه ، ويكتبـــه بغـــير كنيته ، أو ينسبه إلى غير نسبته المعروفة من أمره .

(٣) المتروك : المتروك ما انفرد بروايته راو متـــهم بـــالكذب ، أو راو كثـــير الغلـــط ، أو الفسق ، أو الغفلة ، ومثل له السيوطى بما يرويه صدقة بن موسى الدقيقى (ضعيف) .

(٤) المنكر : إذا خالف الضعيف فى روايتـــه روايـــة الثقـــة أو الصـــدوق ، وتعـــارض الحديثان ، فرواية الضعيف ترد ، وحديثه هو المنكر .

ج ـ فقد شرط الضبط ، ويكون بسبب الغفلـــة أو كــثرة النســيان أو كثرة الخطأ فى الحديــث ، فيســمى حديثــه (المــتروك) ، ويكــون أيضاً بسبب اضطراب رواياته فحديثه (مضطرب) ومن ذلك المدرج [1] ،

---

(١) المدرج : هو الحديث الذى اشتمل على زيادة ليست منه ، وهو أقسام :
١ـ **مدرج المتن** : وهو نادر ، ومثاله عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريـــرة ــ رضى الله ــ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:[**أسبغو الوضوء وويل للأعقاب من النـــار**] فـ (**أسبغوا الوضوء**) من كلام أبى هريرة ، وصله بالحديث[**ويل للأعقاب من النـار**] . رواه البخارى فى صحيحه عن آدم بن أبى إياس عن شعبة عن محمد بن زياد عـــن أبـــى هريرة قال : (أسبغوا الوضوء) فإن أبا القاسم قال : [**ويلٌ للأعقاب من النـــار**] وهـــذا الإدراج لا يجوز ، لكن تفسير بعض ألفاظ الحديث المدرج يجوز ، مثل حديث عروة عـــن عائشة رضى الله عنها فى حديث بدء الوحى فى قولها : (وكان يخلو بغار حراء بتحنـــث فيه ــ وهو التعبد ــ الليالى ذوات العدد) ، فقوله : (وهو التعبـــد) مـــدرج مـــن كـــلام الزهرى فى وسط الحديث ، كما بين فى فتح البارى وهذا جائز .
٢ـ **مدرج الإسناد** : بأن يكون الحديث عند راويه بإسناد إلا جزءاً منه ، فهو عنده بإســناد آخر ، فيجمع الراوى عنه طرفى الحديث بإسناد الطرف الأول تاركاً إسناده للطرف الآخر مثل حديث رواه أبو داود من رواية زائدة وشريك فرقهما ، ورواه النسائى مـــن حديـــث سفيان بن عيينة كلهم ــ أى زائدة وشريك وسفيان ــ رووه عن عاصم عن كليب عن أبيـــه عن وائل بن حجر فى صفة صلاة رسول الله ﷺ ، يذكر أبو داود عن شريك عن عـــاصم (ثم أتيتهم فرأيتهم يرفون أيديهم إلى صدورهم فى افتتاح الصلاة وعليهم أكسية وبرانـــس تحرك أيديهم تحت الثياب) فقوله : (ثم جئت ، إلخ ..) ليس بهذا الإسناد وهو من روايـة عاصم عن عبد الجبار بن وائل عن بعض أهله إلخ .
٣ـ **إدراج بعض حديث فى حديث آخر مخالف له فى السند** ، مثل ما روى عـــن أنـــس مرفوعاً : [**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تنافسوا**] فأدرج (ولا تنافســوا) -

والمقلوب [1] ، والمصحف .

فأسباب فقد الضبط تتلخص فى فحش الغلط والغفلة وســـوء الحفـظ والاحتفاظ والوهم ومخالفة الثقات .

د ـ فقد شرط السلامة من الشذوذ : وذلك بمخالفة الثقة مـــن هـــو أوثق منه وأرجح ، فيسمى شاذاً [2] .

= فى هذا الحديث ، وهو من حديث آخر عن أبى هريرة مرفوعاً : (إياكم والظـــن فـــإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا) .

٤ـ أن يروى حديث عن جماعة وقع بينهم الاختلاف فى متنه أو إسناده فيجمع الكل علـى إسناد واحد مما اختلفوا فيه ، ويدرج رواية من خالفهم معهم على الاتفاق .

(١) **المقلوب :** هو الحديث الذى أبدل فيه راويه شيئاً بأخر فى الســـند أو المتـن ســهواً أو عمداً ـ يبدل راوياً براو آخر ـ كأن يقول : عن سالم ، وهو عـــن نــافع ، أو يقـدم راوياً على آخر ، أو يقدم جزءاً من المتن على جزء آخر مثل **[لا تعلم شماله ما تنفـــق يمينه]** ـ إذا أمرتكم بشيء ، فأتوه وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ـ ، والمقلوب نـــوع من أنواع الضعيف المردود .

(٢) **الشاذ :** هو الحديث الذى خالف راويه الثقة أو الصدوق برواية من هــو أولــى منــه سواء كان ذلك بالحفظ أو العدد ، ولم يمكن الجمع بين الحديثين المتعارضين بوجـــه مـــن وجوه الجمع المعتبرة ، فيعد حديث الثقة مردوداً ، وحديث الأوثق هو المحفوظ المعمـــول به ، وإذا روى الصدوق ما يخالف من هو أولى منه وهـــو الثقـــة مـــع التعــارض بيـــن الحديثين عن حديث الصدوق شاذاً مردوداً ، وحديث الثقة هو الذى يحفظ ويعمل بـــه . وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره ، فينظر فى أمر هذا الراوى المنفرد فإن كـــان راويـــه عدلاً حافظاً ثقة قُبل .

هـ ـ فقد شرط السلامة من العلة : فيكون الحديث معلاً علة فى السند أو فى المتن [1] .

ويعرف هذا من الوقوف على مراتب التخريج التى صنف العلماء فيها الضعفاء والمتروكين ، ويؤدى ذلك إلى الكذب ووضع الحديث والدجل وسرقة الحديث ورد الحديث والضعف والإنكار ، وأحياناً يقولون فيه مقال أو ضعف ، أو فيه ضعف أو ليس بالقوى ، أو ليس بحجة .

والفريق الأول لا يحتج به والثانى يكتب حديثه .

وقد صنفت كتب فى الأحاديث الضعيفة وأصحابها .

والحديث الضعيف قد فقد شرطاً أو أكثر من شروط الحديث الحسن لذاته أو الحسن لغيره نتيجة سقط فى السند أو ضعف الراوى .

وبنسب الضعف إلى الأسانيد .

وهى قسمان : يكون الضعف بالنسبة للبلدان ، فيقال أضعف أسانيد أهل اليمن حفص بن عمر العدنى (نسبة إلى عدن) ضعفه الأئمة . وأوهى أسانيد المصريين أحمد بن محمد بن الحجاج ، كذبوه وأنكروا عنيه ، وأوهى أسانيد الشام محمد بن قيس المصلوب المعروف بالشامى كذاب ، ومن أوهى أسانيد الصحابة صدقة بن موسى الدقيقى فى الإسناد إلى أبى بكر الصديق ، وأوهى أسانيد ابن مسعود شريك بن عبد الله

---

(١) المعل : هو الحديث الذى اطلع فيه على علة تقدح فى صحته مع أن ظاهره السلامة منه ، والعلة : الانقطاع فى الموصول ، والوقف فى المرفوع ، والإرسال ، أو الإدراج ، أو غير ذلك ، ويستدل على العلة بتفرد الراوى ، وبمخالفة غيره له ، مع قرائن تنضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن ، كما قال ابن الصلاح

النخعى عن أبى زيد المخزومى ، وأبو زيد مجهول ولا يعرف بصحبة عبد الله بن مسعود .

قيل يجوز رواية أنواع الأحاديث الضعيفة ما عدا الموضوع منها ، كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال ، والترغيب والترهيب ، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد من الحلال والحرام وغيرهما من الأحكام ، وممن قال بذلك أحمد بن حنبل .

وقيل : لا يعمل بالحديث الضعيف مطلقاً ، لا فى الأحكام ولا فى الفضائل ، وذلك رأى جماعة كيحيى بن معين والبخارى ومسلم ، فلم يخرجا ضعيفاً ، وهو مذهب ابن حزم كذلك فى الملل والنحل .

وبعضهم أجاز العمل بالحديث الضعيف مطلقاً فى الأحكام والمواعظ وغيرها ، وبعضهم يعمل بالحديث الضعيف فى الحلال والحرام ، وغيرهما من الأحكام الشرعية وقدمه على القياس . وهو مذهب الأئمة الثلاثة : أبى حنيفة ومالك وأحمد ، وجماعة من أئمة المحدثين كأبى داود والنسائى ، وقال أحمد بن حنبل : "ضعيف الحديث أحب إلينا من الرأى " ، وهو مروى عن ابن حزم أيضاً .

وإذا جاءت فى الحديث الضعيف زيادات على ما ثبت فى الصحيح يرد .

والقائلون بالقبول مطلقاً تساهلوا ففرطوا ، والقائلون بالقبول بشرط أميل إلى الاعتدال ، والتزام النصوص ، والقائلون بعدم جواز العمل بالضعيف مطلقاً أقرب إلى الحيطة ، وأبعد عن الإثم .

الحديث الموضوع

هو الكلام المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله ﷺ المنسوب إليه زوراً وبهتاناً .

ولم يقع الكذب من الصحابة لعدالتهم ، وقول رسول الله ﷺ [من تعمد على كذباً فليتبوأ مقعده من النار] .

أسباب الوضع :

ــ وضع أحاديث ترغب الناس فى الخيرات ، وتخوفهم ليتجنبوا المعاصى (من بعض من يدعون الزهد) .

ــ وضع أحاديث فى الطعن على الإسلام على يد الزنادقة ، يحرمون الحلال ويحلون الحرام .

ــ الانتصار للمذاهب السياسية ، كالخوارج والشيعة .

ــ التقرب إلى الخلفاء ، والأمراء ، بوضع ما يوافق هواهم .

ــ الوضع من أجل التكسب والرزق ، مثل القُصاص .

ــ الوضع من أهل البدع وقصد الشهرة والانتصار للفتيا .

علامات وضع الحديث :

ــ إقرار الراوى بالوضع ، ومن ذلك ما رواه الحاكم بسنده إلى ابن عمار المروزى أنه قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ،

واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ، ومغازى ابن إسحاق ، فوضعت هـذا الحديث حسبه .

ــ أن يرى الراوى عن شيخ لم يثبت لقياه له ، أو ولد بعد وفاته ، أو كان فى مكان لم يصل إليه .

ــ أن يجرح العلماء راويه بأنه كذاب ، مثل قول على بن عبد الله الروانى : " الأمناء ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية " .

ــ مناقضة الحديث للقرآن الكريم بوجه يتعذر معه الجمع أو النسخ ، كحديث [**سب أصحابى ذنب لا يغفر**] ، فهذا معارض بقوله تعالى :﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [١] . [**لا يدخل الجنة ولد زنا ولا والده ولا ولده**] فهذا مخالف لقوله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [٢] .

ــ مناقضة الحديث لصحيح السنة مخالفة صريحة ، بحيث يتعذر الجمع أو الترجيح ، ولا يثبت النسخ ، كحديث [**إذا حدثتكم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به ، حدثت به أو لم أحدث**] فهذا مخالف للحديث المتواتر [**من كذب على متعمداً .. إلخ**] .

ــ ركاكة ألفاظ الحديث ، وبُعد معناه ، كحديث : (**من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له ، اللهم أنت حى لا تموت وندى لا تنفد ، وقريب لا تبعد**) .

---

(١) النساء : ٤٨ .

(٢) الأنعام : ١٦٤ .

ــ اشتمال الحديث على أمر مستحيل ، أو مخالف للمعقــول مثــل : (قيل يا رسول الله : ممَّ ربنا ؟ قال : [**لا من الأرض ، ولا من السـماء ، خلق خيلاً فأجراها فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق**] .

ــ مناقضة الحديث للأصول الشرعية (الكتــاب والســنة ومقــاصد الشريعة كحديث [**خيركم بعد المائتين من لا زوجة له ولا ولد**] .

ــ مخالفة الحديث لحقائق التاريخ ، كحديث وضع الجزية عن أهــل خيبر .

ــ اشتمال الحديث على مجازفات في الوعد والوعيد مثــل : [**مــن صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبياً**] .

ــ سماجة لفظ الحديث وكونه مما يسخر منه مثل : [**لو كــان الأرز رجلاً لكان حليماً ، ما أكله جائع إلا أشبعه**] .

ــ تضمين الحديث لمنفعة تعود على الوضاع ، كوضع محمــد بــن حجاج التخمي مثل حديث [**الهريسة تشد الظهر**] فقد كان يصنع الهريسة ويبيعها .

المحتويـــات

الثمن ١٠٠ قرش

طبع بمطبعة وزارة الأوقاف